

## الفصل الأول: سياق النقد العربي المعاصر.

## تمهيد.

إن البحث في القضايا النقدية العربية المعاصرة، عمل في غاية الصعوبة، حيث يرى البحث أن هذا النوع من الدراسة يتطلب وضوحاً منهجياً، وهذا ما ليس متوفراً بالشكل المطلوب للوصول إلى دراسة نقدية دقيقة، نظراً للتذبذب المنهجي الذي يلف أكثر الأعمال النقدية العربية، وأيضاً قلة الكتابات النقدية واضطراب مصطلحاتها.

ولتوضيح هذا الموضوع ومحاولة معرفة سياق النقد العربي المعاصر، ابدأ أولاً بحديث لصالح فضل عن المنهج النقدي الحديث، حيث يقول: «أما في العصر الحديث فقد تعددت الشروط والمواصفات التي تحدد طبيعة المنهج النقدي» إذ يرى أن له: «مفهومين أحدهما عام والأخر خاص، يرتبط العام بطبيعة الفكر النقدي ذاته في العلوم الإنسانية بأكملها، وهي الطبيعة الفكرية النقدية التي أسسها "ديكارت"، على أساس أنها لا تقبل أي مسلمة قبل عرضها على العقل...، أما الخاص، فهو الذي يتعلق بالدراسة الأدبية وبطرق معالجة هذه القضايا والنظر في مظاهر الإبداع الأدبي بأشكاله وتحليلها».<sup>1</sup>

ويرى: «أن ما يميز النقد المعاصر في مجتمعاتنا العربية وخاصة في الآونة الأخيرة، هو تحديد مفهوم وطبيعة توجهه العلمي بشكل يخالف ما كان عليه حال العلم الإنساني من قبل وذلك بخروجه من دائرة الفروض الإيديولوجية الضخمة في نظرياته وإجراءاته، ليلتمس مدخلاً صحيحاً للعملية المتنامية المتراكمة».<sup>2</sup>

ويرى لصالح فضل أيضاً: «أن العملية المنهجية لها ثلاثة أطراف، النظرية، المنهج والمنظومة الاصطلاحية، هذه الأخيرة تمثل الأدوات المنهجية التي يطبق بها المنهج، وهي خاضعة للتغير من منهج إلى آخر، هذه الأطراف الثلاثة النظرية، المنهج، المصطلح تمثل منظومة متكاملة تبدأ من الإطار الشامل (النظرية) وتنتهي إلى التقنية المتداولة التي

<sup>1</sup> - أنظر لصالح فضل: مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنشر والمعلومات، ط1، 2002، ص 10-11.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص7.

يستعملها أصحاب المنهج في ممارساتهم العلمية، هذه العلاقة كثيرًا ما تتم فيها اختراقات لأنها ليست في معزل عن كثير من المؤثرات في الحقول الجانبية المجاورة للحقل الأدبي والإبداعي»<sup>1</sup>.

هذه الاختراقات والمؤثرات ربما كانت من بين الأسباب التي أدت إلى التذبذب المنهجي الذي يطبع الساحة النقدية العربية المعاصرة، والذي يُتهم به «طه حسين»، يقول جابر عصفور: «إننا نعرف طه حسين الناقد العقلاني الذي يؤرقه اتزان المنهج، وتشغله دقة المعارف التي تهدي خطى الناقد، فيلوذ بالديكارتية في طرائق التثبيت، مثلما يلوذ بالمكتسبات المنهجية، في إجراءات البحث التاريخي الحديث ويتقبل بعض أفكار «تين» عن الدرس الأدبي أن يمزجها بأفكار أستاذه «كارلو نانيلو» ويتقبل بعض أفكار «سانت بييف» بعد أن يعقلها بأفكار أستاذه في باريس «غوستاف لانسون....»<sup>2</sup>

إن اهتمام البحث بالحديث عن طه حسين، راجع إلى أنه أول من اتصل بالغرب وتبعه في ذلك كل النقاد الذين تلاوا طه حسين، فتقلبوا بين مناهج عديدة هي وليدة النظريات الغربية الجديدة.

يقول رزان محمود: «لا ننسى في سياق الحديث عن التناقض والازدواجية لدى الناقد العربي، ما عرف عن طه حسين»<sup>3</sup>.

هذا التناقض والتذبذب المنهجي ناتج عن ظهور عدد رهيب من النظريات والمناهج والأفكار، التي عجت بها الساحة الأدبية والنقدية على وجه الخصوص، فشكّل ذلك كله ثورة في الفكر، فأعاد النقاد النظر في كل مناحي الفكر بقراءات نقدية جديدة، هي وليدة البيئة الثقافية الأوروبية أولاً، ثم انتقلت إلى مختلف دول العالم بما فيها الوطن العربي.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 12-13.

<sup>2</sup> - جابر عصفور: المرايا المتجاوزة، دراسة في نقد طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1983، ص 10.

<sup>3</sup> - رزان محمود إبراهيم: الشرط التاريخي للنظرية العربية، كلية الأدب والعلوم، جامعة البتراء، دط، دت، ص 2.

## 1- المناهج السياقية.

من بين هذه المناهج ما عُرف بالمناهج السياقية في النقد، والمتأمل في هذه المناهج يرى ذلك الإبحار في جوانب النص الفسيحة، أما النص في حد ذاته فإنه لا يمثل سوى نواة في هذا الخضم الشاسع، فينساق الدارس إلى كل ما يحيط بالنص، من ذات المؤلف، إلى الظروف الاجتماعية، إلى أغوار النفس وبواطنها، دون الاهتمام بجوهر النص وبنيته الداخلية.

والمناهج النقدية العربية المعاصرة، سياقية ونسقية، جلها ولدت في بيئة وثقافة غربية هذه البيئة والثقافة نفسها تنقسم إلى بيئتين وثقافتين، إحداهما فرنسية والأخرى أمريكية. يقول رزان محمود إبراهيم: «إن الحديث عن المنتج النقدي الأدبي يقتضي بالضرورة إقرار بخصوصية الأفراد منتجي النظريات، والمؤثرين فيها، ولا بد كذلك من التنبيه إلى الاختلافات النسبية بين الحضارات وهي اختلافات قائمة على تراكمات تاريخية، وتفاعلات بيئية ومجتمعية».<sup>1</sup>

«تأكيداً لتلك العلاقة التي تربط العلاقة النقدية بالتركيبة الثقافية التي تفرزها، يقارن «عبد العزيز حمودة» بين مزاجين ثقافيين، المزاج الثقافي الفرنسي الذي ينفي وجود الذات، بشكلها الحر المستقل، والمزاج الثقافي الأمريكي الذي يميل للحفاظ على ذات حرة شبه ديكارتية».<sup>2</sup> وبين هذا وذاك يرى البحث أن نقدنا العربي المعاصر، يقع في أزمة مواجهة المناهج النقدية العالمية المختلفة.

يقول «وهب أحمد رومية»: «...بأن نقدنا المعاصر نقد مأزوم على الرغم من الضجيج الذي يرافقه خطوة خطوة، لقد أصابه العجز عن مواجهة المذاهب النقدية العالمية المعاصرة فاستسلم لها، لكنه عدَّ نفسه مخادعة للذات وتضليلاً لها، جزءاً من تلك المذاهب...»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - رزان محمود إبراهيم: الشرط التاريخي للنظرية العربية ، ص9.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص9.

<sup>3</sup> - وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1987، ص5.

وقبل الحديث عن المناهج النقدية السياقية والنسقية التي انتقلت إلى العالم العربي، يرى البحث أنه يجب أولاً معرفة الفرق بين المذهب والمنهج، وللفضل في ذلك يستعين البحث بما قاله «صلاح فضل» في كتابه «مناهج النقد المعاصر».

يقول صلاح فضل: «هناك توضيح آخر قد يشرح لنا بشكل أفضل العلاقة بين النظرية الأدبية والمنهج النقدي وهو المتصل بعلاقة المنهج بالمذهب لأن كثيراً من النظريات الأدبية كانت تنتم - خاصة النظريات القديمة- بشيء من العقلانية المطلقة، وترتبط بمنظومة الأفكار التي يعتقدونها ويؤمنون بها ويسلمون بمبادئها دون إخضاعها للتمحيص النقدي من ممارسي الأدب إبداعاً ونقداً ودراسة، عندئذ كانت تمثل ما يطلق عليه المذهب الأدبي... إذن نستطيع القول أن الفرق الجوهرى بين المذهب والمنهج يتمثل في أن المذهب له بطانة إيديولوجية يصعب تعريفها، بينما المنهج يتكئ في الدرجة الأولى على مفاهيم منطقية أو عقلية يمكن حراكها وتغييرها، فيصعب على الأديب الذي يعتقد مذهباً أن يغيره بسرعة بينما يسهل على المفكر الذي يعتقد أو يقتنع بمنهج محدد ثم يجد فيه جوانب من القصور أن يستكمله بقدر أكبر أو يعدله بمرونة أوضح».<sup>1</sup>

### 1-1. المنهج التاريخي.

وللحديث عن السياق النقدي العربي المعاصر يرى البحث أنه لا بد من الحديث عن المناهج النقدية المعاصرة والمنهج التاريخي يعتبر أول المناهج النقدية المعمول بها. يقول محمد مندور: «النقد التاريخي هو الذي يرمي قبل كل شيء إلى تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب، فهو يُعنى بالفهم والتفهم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة، والنقاد الذين يجنحون إلى هذا النقد يؤمنون بأن كل تفسير من الممكن بعد ذلك أن يخرج منه القارئ بحكم لنفسه...، والمنهج التاريخي في النقد مفيد من حيث أن يأخذ

<sup>1</sup> - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ص15- ص16.

نفسه به لا يمكن أن يكتفي بدراسة المؤلف الأدبي الذي أمامه، بل لابد من أن يحيط بكافة ما ألف الكاتب ليكون حكمه صحيحا شاملا».<sup>1</sup>

ومن أمثلة الاستعانة بالمنهج التاريخي في الدراسات الأدبية دراسة «محمد مندور» لـ«مطران».

يقول «محمد عبد الحميد»: «أما دراسته التاريخية فتبدو واضحة عندما تعرّض لأصل «مطران» الجنسي من جهة أبيه، فقد خلص الباحثون إلى أنه عربي أزدي يمني الأصل وتنتقلت قبيلته شمالا إلى غسان ثم إلى الشام، حيث اعتنق الكاثوليكية، بعد الأرثوذكسية، أما أمه فيقول عنها الكاتب: «أما أمه ملكة الصباغ فكانت من أسرة فلسطينية عريقة، وكانت تتذوق الأدب، وتقرض الشعر وكذلك كانت جدته لأمه، ثم يتحدث عن ثقافته الواسعة، فضلا عن العربية فقد أجاد الفرنسية والتركية، ثم تعلم الإسبانية، وتقل من مهجره من باريس إلى البرازيل حتى استقر به المقام في الإسكندرية...» ومما سبق لوحظ إفادة مندور المباشرة مما قرره «سانت بيف» حول أهمية إفادة الباحث من سيرة الأديب الشخصية واعترافاته الشخصية التي تسهم في رسم قسماته النفسية ومن ثمة فنه، وكذلك نلمح إفادته مما قرره «تين» حول أهمية اعتبار البيئة وأثرها، فالبيئة التي أحاطت بـ«مطران» قد نمت عنده اتجاهات معينة في شعره، كشيوع المناسبات العامة والخاصة حتى المبتذل منها».<sup>2</sup>

لا يسع البحث أن يحيط بكل خصائص المنهج التاريخي أو يذكر كل أولئك النقاد الذين توسلوا هذا المنهج في دراساتهم النقدية، إلا أن البحث يرى أن لا يغفل ناقدا عربيا فذا هو الآخر إنه الجزائري «عبد الملك مرتاض» الذي بدأ انطباعيا ثم انتقل إلى تقنية المنهج الروائي التي ما لبثت أن تطورت ليحل محلها المنهج التاريخي وتطبيقاته، ويظهر ذلك خاصة في رسالتيه الجامعيتين، «فن المقامات في الأدب العربي» و«فنون النشر الأدبي في الجزائر».

<sup>1</sup> - محمد مندور: في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص17-18.  
<sup>2</sup> - محمد عبد الحميد: المرايا المتحاور، دراسة في تكاملية نقادنا الرواد، دار الوفاء لعنوا الطباعة والنشر، مصر، دط، دت، ص73.

## 1-2. المنهج الاجتماعي.

وقد تولد عن المنهج التاريخي المنهج الاجتماعي كما يقول ذلك الكثير من النقاد، وقد تحدث «محمد مندور» في كتابه النقد الأدبي الحديث عن الأدب والحياة الاجتماعية، حيث يرى أن الأدب لعب دورًا كبيرًا خلال التاريخ في ثورات الشعوب وحركاتها الاستقلالية والاجتماعية، مبينا العلاقة بين معنويات الحياة ومادياتها وإدراك تلك العلاقة.

فيقول مندور: «لا مرأ أن الأدب قد لعب خلال التاريخ دورًا كبيرًا جدًا في ثورات الشعوب وحركاتها الاستقلالية والاجتماعية، وذلك لأنه وإن تكن هناك علاقة وثيقة بين معنويات الحياة ومادياتها إلا أن إدراك تلك العلاقة قبل أن تصبح أمرًا واقعيًا محسوسًا لا يتأتى لعامة الناس، فما يسمى استقلالًا أو حرية قد تعشقه النفوس الكبيرة لذاته، وأما جمهرة الشعب فلا بد أن تُدفع إلى ذلك... وكذلك الأمر في الحركات الاجتماعية، فالبؤس المادي ذاته لا يحرك الشعوب بل يحركها الوعي به...، وعن هاتين الحقيقتين الثابتتين وهما:

- إدراك العلاقة بين معنويات الحياة ومادياتها.

- وعي الفرد بما فيه من بؤس.

تصدر وظيفة الأدب الاجتماعية، من حيث أنه محرك لإرادة الشعوب.<sup>1</sup>

ويرى محمد مندور أن الكتاب يختلفون في تناول الظاهرة الأدبية وفق المنهج الاجتماعي فينقسمون إلى فريقين فيقول في ذلك: «والكتاب يختلفون في كيفية أدائهم لهذه الخدمة الاجتماعية، فمنهم من يعتقد أن في مجرد الوصف والتصوير ما يكفي لأداء هذه الرسالة دون الإفصاح عن مشاعر الكاتب الخاصة أو الدعوة إلى علاج بعينه، وذلك كمن يصف منظر بؤس يراه...، وربما كان هذا النوع انجح الأنواع وأشققها، لأن الكاتب لابد له عندئذ أن يجمع بين أمرين، أولاً تصوير الواقع تصويراً يعيد خلقه على نحو حي، ثانياً ترتيب هذا الواقع المصور أو المخلوق وسرده بحيث يثير القارئ، ويولد الأثر الذي يهدف إليه

<sup>1</sup> - محمد مندور، في الأدب والنقد، ص36.

الكاتب...، ويرى فريق آخر أنه لابد من الدعوة الصريحة في القصة أو المسرحية إلى المبادئ التي يريد أن يروجها الكاتب».<sup>1</sup>

ويرى البحث أن «النويهي» أحد النقاد الذين لهم باع في هذا الاتجاه، يقول «محمد عبد الحميد»: « والنويهي أحد نقاد النص الذين يعدونه تشكيلاً لغوياً له عالمه الجمالي الخاص إلا أنه في الوقت نفسه كان من أشد الداعين إلى ضرورة ربطه بالحياة، وقد ناضل في سبيل الدفاع عن أدبنا العربي من أن تصيبه جرثومة الاستقلالية الجمالية أو الانعزالية»<sup>2</sup>، «ومفهوم الأدب عنده يتلخص في أنه تعبير عن تجارب حية عاشها الأديب، ولحظات صدق مع النفس دفعت قريحته إلى أن تتفجر فناً وأدباً، ويستمد الأدب جماله من هذه التجارب الحية التي صيغت في شكل جمالي خاص له جماله النابع عن خصوصية لغته، وجماله الذي تدعمه في ذات الوقت ظروف نشأته التاريخية والاجتماعية».<sup>3</sup>

كان النويهي من المؤمنين بوصول الأدب بالحياة، لذا كان يرى بأن دراسة الأثر الأدبي دراسة لغوية معزولة عن محيطه الاجتماعي لن توصلنا لفهم الشعر، كما أن النظر في الظروف الاجتماعية وحدها دون تأمل كيفية علاج الشعر لهذه الظروف، لن توصلنا إلى فهم الشعر.

وتأكيداً لهذا قوله: «...الخبرة الجمالية اللغوية وحدها معزولة عن ظروفها الاجتماعية لن توصلنا لفهم الشعر، كما أن النظر في الظروف الاجتماعية وحدها دون تأمل في علاج الشعر لها، وإعادته تنظيمها وخلقها، لن توصلنا لفهم الشعر...».<sup>4</sup>

### 1-3. المنهج النفسي.

بعد هذا الحديث المختصر عن المنهج الاجتماعي، يرى البحث أن يذكر منهاجاً آخر لا يقل أهمية عن المنهج التاريخي والاجتماعي، إذ يرى البحث أن من أولويات الأدب قضايا الإنسان، فهو عبارة عن رسالة تنتقل من مرسل إلى مرسل إليه، أو بعبارة أخرى من مبدع

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 37.

<sup>2</sup> - محمد عبد الحميد، المرايا المتحاور، ص 89.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 90.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 90.

إلى متلقي، وما هذا المبدع إلا إنسان وكذلك المتلقي، فالأدب بذلك موضوعه الإنسان في ذاته واستجابته لما يحيط به.

يقول «محمد مندور»: «الأدب موضوعه الإنسان في ذاته وفي استجابته لما حوله، وهو في هذا شبيه بعلم النفس، ولكن ثمة فرق جوهري بينهما هو أن علم النفس يتناول الظواهر العامة، أما الأدب فهدفه الأول إدراك العنصر الفردي المميز لكل إنسان عن أخيه، فالباحث في علم النفس - مثلا - يتحدث عن الخيال أو العاطفة أو الغريزة كظواهر عامة تشمل الإنسانية كلها، وأما الأديب فإن كان شاعرا تغنى بإحساسه الخاص، وإن كان قصصيا صور شخصيات يُبرز ما فيها من أصالة، حتى إنه ليغرق بين أنواع الشخصيات التي تشترك في لون واحد عام».<sup>1</sup>

«فتصوير البخيل في رواية «موليير» مثلا غيره في رواية «أوجين جرانديه»، «لونوريه دي بلزك»، فكل كاتب يختار نواحي من البخيل وحركات خاصة تتم عنه غير ما اختاره الآخر».<sup>2</sup>

ويرى «محمد مندور أنه» يجب استخدام علم النفس في نقد الأدب بحذر، فقد يُذهب ذلك الأصالة الموجودة في العمل الأدبي، لأنه كما سبق ذكره أن علم النفس يتناول الظواهر العامة، فنُفهم بذلك الشخصية الروائية مثلا، أو تحليل نفسية الشاعر على ضوء قوانين نفسية عامة، والنفوس البشرية يستحيل أن تتطابق.

وفي هذا المنهج دراسة لمندور حول قصيدة «الصباح الجديد» «لأبي القاسم الشابي» تناولها بالدرس الفني فحللها تحليلا ينطوي على حكم قيمة لها بالروعة والجمال، ويمثل الملمح التاريخي في هذه الدراسة ما كتبه عن حياة هذا الشاعر، ومرضه الذي أودى به مبكرا، وقد اعترف «مندور» أنه كان يود تحقيق قصائد «أبي القاسم» لولا أن الشاعر قد أخذه بسحر شعره فأنساه ذلك<sup>3</sup>، وهكذا لم يعول «مندور» كثيرا على الدراسة التاريخية... لكننا

<sup>1</sup> - محمد مندور، في الأدب والنقد، ص39.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص39.

<sup>3</sup> - محمد عبد الحميد، المرايا المتحورة، ص79.

نلاحظ اهتمامه بجانب آخر شكّل أهم ملامح دراسته، وهو الملمح النفسي، إذ ركز جهده حول شخصية «الشابي» ونفسيته التي تمثلها روحه الثائرة التي طبعت شعره كله بما فيه قصيدته «الصباح الجديد» وبهذه الروح يتميز شعر «أبي القاسم» عن شعر زملائه من جماعة «أبوللو»، فمن هذه الروح استمد شعره الذي ربما كان أقوى هذه الجماعة طاقة شعرية وحدة عاطفة وثورة روح»<sup>1</sup>.

وقبل الانتقال من الحديث عن النقد السياقي أو المناهج السياقية إلى الحديث عن المناهج النسقية أو النسانية يرى البحث أن المناهج السياقية يمكن أن تتقاطع في دراسة نقدية واحدة، فعلى سبيل المثال يمكن أن يبدأ الناقد دراسته تاريخياً، ثم يفرض المنهج الاجتماعي نفسه، كما قد يظهر المنهج النفسي مثلاً عند الحديث عن شخصية المؤلف، أو الشاعر أو حتى بطل الرواية، ذكر البحث مثلاً عن ذلك في دراسة «محمد مندور» لقصيدته «الصباح الجديد» لأبي القاسم الشابي، وأمثلة ذلك كثيرة ومتنوعة لا يسع البحث الخوض فيها. لقد سبق وأن ذكر البحث تأكيد العلاقة التي تربط النظرية النقدية بالتركيبية الثقافية التي تفرزها، والمناهج النقدية المعاصرة أفرزتها ثقافتان من بيئتين مختلفتين، إحداهما فرنسية والأخرى أمريكية.

## 2- المناهج النسقية.

يرى عبد العزيز حمودة: «أن فرنسا قامت باحتضان البنيوية، بما تحويه من تركيز على القوانين والأنساق الداخلية للنص الأدبي، بطريقة تغيب قدرة الذات إلى درجة رفض ذات المؤلف أساساً، وهو السبب نفسه الذي أدى إلى تأخر وصول البنيوية إلى أمريكا، التي استمرت فيها شعبية أفكار «سارتر» من حرية الفكر وتأكيد الذات وهي أفكار تتفق مع المنهج الثقافي الأمريكي...»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 80.

<sup>2</sup> - رزان محمود إبراهيم، الشرط التاريخي للنظرية العربية، ص 9.

تشير الدراسات المتخصصة بالبنوية إلى وجود اتجاهات عدة للبنوية مثل البنوية الماركسية، والبنوية النفسية والبنوية التكوينية، كما يتضح أن البنوية قد دخلت مجالات عدة من خلال مفهوم البنية ذاته كمعطى مجرد».<sup>1</sup>

«وهذا حتماً مؤشر على مدى محدودية حضور البنوية في الفكر العربي إجمالاً وفي النقد العربي الحديث خصوصاً، إذ إن حضورها في دراسة النص الشعري الحديث يتباين ما بين المباشرة في تبنيها، كما هو الحال لدى «كمال أبو ديب»، أو تبني اتجاه محدد منها كما في دراسة «محمد بنيس» ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، أو ظهور أثرها من خلال الدراسات التي قامت بدراسة الشعرية العربية الحديثة، كما في دراسة «محمد بنيس» «الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته»... أو التأثير بالاتجاه البنيوي دون أن يكون ملزماً بتصويراته كما في دراسة علي الشرع «بنية القصيدة القصيرة في شعر أدونيس»، وربما جاء تطبيق البنوية ممزوجاً بطروحات نقدية أخرى كما تجلّى في دراسة يُمنى العيد «في معرفة النص الأدبي».<sup>2</sup>

أخذ النقاد العرب في تطبيق المناهج الغربية النسقية ومنها البنوية على النصوص الأدبية العربية دون مراعاة لخصوصية هذه النصوص، ودون غرلة لهذه المناهج وتكييفها لتتناسب مع روح النص الأدبي العربي، فكان ذلك عبارة عن تقليد وتبعية مطلقة لكل ما يأتي من الغرب، يقول العقاد: «كان من أثر الصدمة الأولى بين العالم العربي وسطوة الحضارة الأوروبية الحديثة، أن المغلوب أخذ في محاكاة الغالب كما هي العادة العامة، وأن هذه المحاكاة بدأت بالتقليد الآلي لا تمييز فيه ولا اختيار».<sup>3</sup>

ومنذ مطلع السبعينيات لوحظ ازدياد تأثير المناهج النسقية، مثلاً السيميائية، البنوية وغيرها في النقد العربي، فبدأ الاهتمام بالنص وبنيته الفنية وأهم بقية المقومات الخارجية.

<sup>1</sup> - سامي عبابنة: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتب الحديث، الأردن دط، 2004، ص236.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص236.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: المذاهب الأدبية والاجتماعية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2006، ص8.

«البنوية أعلنت بأن النص يكشف عن بنية محددة، وعن مجموعة أنساق بنوية محددة وأن وظيفة القارئ وكذلك الناقد تكمن في الكشف عن شفرة النص ومعناه، وآلياته وأنساقه المختلفة، لذا يظل القارئ محكومًا بالنص ذاته، وليس له أن يضيف شيئًا من عند ذاته إلى النص، وقد استفادت البنية في كل ما سبق من ميراث الشكلية الروسية ومدرسة جينيف وحركة براغ اللغوية، وعلم اللغة الحديث عموماً»<sup>1</sup>.

وتتعلق السيميولوجيا في إعطائها فاعلية للقراءة من فهم طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، ويكون دور القارئ هنا في استحضار العلاقة بين الدال والمدلول التي تشكل ثنائية الحضور والغياب، والتي تتولد منها المقومات الشعرية للنص.

وعموماً فإن عصر البنية والسيميولوجية يمكن أن نسميه عصر سلطة النص، حيث يغدو دور القارئ خاضعاً كلية لسلطة النص، حتى إن بعضهم تحدث عن موت المؤلف بمجرد أن يدفع بإنتاجه إلى دور الطبع، إلا أنه ظهر اتجاه جديد أطلق عليه بعضهم اتجاه ما بعد البنية تزعمه «جاك دريدا»، وهو الاتجاه الذي عُرف بالتفكيكية التي أنهت سلطة النص، وقوضت ما بنته البنية والشكلانية، وما أعطته للنص من اهتمام كبير وبالمقابل أعلنت من شأن القارئ واعتزضت على إمكانية وجود قراءة صحيحة واحدة للنص وأطلقت العنان لمبدأ القراءات المتعددة التي تظل بدورها نسبية وغير يقينية، حتى إن «جاك دريدا» نفسه يعلن أن قراءته التفكيكية هي ذاتها عرضة للتفكيك.<sup>2</sup>

وقد أخذ النقاد العرب ينهلون من هذه المناهج، يتوسلون لها لدراسة الآثار الأدبية، بفضل ذلك الانفتاح على الروافد الأدبية والنقدية الغربية.

<sup>1</sup> - صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ميريت للنشر والمعلومات، دط، دت، ص 24.  
<sup>2</sup> - علي خفيف، التجربة النقدية عند عبد الملك مرتاض، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العربي، جامعة باجي مختار 1994/1995، ص 34.

## 2-1. آراء بعض النقاد في المناهج النسقية.

وفي ذلك يقول «رزان محمود إبراهيم»: «...إلا أن هذا الانفتاح اللانهائي المنكر للحد والحدود، والذي يجعل النص قابلاً للتأويل المستمر، قد لا يجد له مناخاً مناسباً في المزاج العربي، فالبعض يتصدى للتفكيكية باعتبارها دعوة إلى السيولة والتسيب الفكري، يعكسان رغبة في نفي التعميمات والقوانين العامة وإثارة الشك في المعتقدات، وأنذ يصح القول بتعدد التفسيرات بصورة لا نهائية معضلة أمام بعض النصوص الثقافية العربية الدينية، ذلك أن التفكيكي يحرق ويسلم لرياح النقد السوداء الكثير مما يعتبر عادة مقدساً، ويخلف وراءه قدرًا كبيرًا من كنوز الماضي وقد لحق بهما سوء السمعة، من هنا نصل إلى القول: أن التفكيك يقتضي رغبة ملحة في التعددية الفكرية والمذهبية، فمن وجهة نظر معينة ضمن مزاج تاريخي وثقافي معين ينظر إلى التفكيك باعتباره رسالة إنسانية تحارب المفاهيم القمعية وتتصدى لها، ومن وجهة نظر أخرى فقد ينظر إليه باعتباره مدمراً للتقاليد وثورة عليها»<sup>1</sup>.

وبما أن الأدب هو مادة الدرس الأدبي، فهو ما يملئ قواعد درسه، إذن فالمقولات النقدية تكون بالضرورة مستخلصة من النصوص الإبداعية عينها، فالنقد والأدب لا ينفصلان.

وفي ذلك يرى محمد مندور: «أنه من غير الفطنة محاولة تطبيق آراء الأوربيين على هذا الأدب، وهي آراء تمت صياغتها لأدب غير أدبنا، هذا التعارض بين تعاليم بعض النقد وحقائق أكثر الأدب تشير إليه «بمنى العيد» في دراستها المعنى الغائب بقولها: وقد يفارق نقدنا العربي الأدب الذي يتحدث عن حياتنا، وقد يدعو ليحاكي الأدب الذي نتحدث عنه هذه التيارات العالمية أو قد يترك الأدب يفارقه، يحكي الأدب عن الحياة حياتنا، ويستمر النقد نقدنا الحديث عن الكتب العالمية...وبدل القرية تظهر المفارقة...»<sup>2</sup>.

وبالتالي يتم تقويم الأدب أو النصوص العربية بالاعتماد على معطى غربي أو نموذج ثقافي خاص، تغدو قيمه أساساً للتقويم، ويغدو هو الأصل، مما يوصلنا إلى حالة اغتراب

<sup>1</sup> - رزان محمود إبراهيم، الشرط التاريخي للنظرية العربية، ص10.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص13.

تتولد في رأي «فيصل دراج» حين يهرب الناقد لاستيراد مناهج غربية لا علاقة لها بالنص الأدبي العربي، كما يعتبر «فيصل دراج» أن إخضاع النصوص الأدبية للنظريات الجاهزة هو نوع من العجز والتبعية ويقول في هذا الشأن لا يمكن الوصول إلى صيغة نقدية إلا من خلال قراءة خصوصية الرواية العربية بمفاهيم مشتقة من هذه الأعمال الروائية.<sup>1</sup>

يقول صلاح فضل في هذا الصدد: «وعندما ترسم عين النقد مشهد الكتابة الإبداعية فإنها لا تستحيل إلى آلة جامدة ولا تقدم صورة مكررة، فمهما كانت مشروطة بموقفها ومنظورها واتساع حدقتها ومدى الضوء المتوفر لها، مهما كانت محكومة بالمنهج فإن عليها أن تتحرك في مساحة واسعة ومتعددة المستويات، تمتلك قدرتها على الاختيار والتركيز، وهو في حد ذاته حكم قيمة مضمرة وحكم واقع مطروح، فمن بين مئات بل وآلاف النماذج الروائية والتخصصية التي تم إنتاجها ونشرها في هذه الأعوام الأخيرة على امتداد رقعة الوطن العربي تستأثر بعضها باهتمام، هذه العين تستقطب بؤبؤها، لا بد أن فيها شيئاً يستحق ذلك، فليست الصدفة وحدها ولا إمكانات التلقي المادية هي حاکمة الموقف...»<sup>2</sup>.

## 2-2. التذبذب المنهجي أمثلة وحلول.

ويذهب «فاضل ثامر» بعيداً في اتهام النقاد العرب، بالارتجال والتقليد، والميكانيكية فيقول: «ويمكن أن نتحدث هنا عن انعطاف بعض النقاد نحو هذه المناهج الجديدة فنلاحظ أنه كان حاداً ومفاجئاً، مما أكسب الكثير من البحوث والدراسات النقدية صفة الارتجال والتقليد والميكانيكية، والاكتفاء بتقديم شروحات وتفسيرات للاتجاهات والمناهج النقدية المختلفة»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 13.

<sup>2</sup> - صلاح فضل: عين النقد على الرواية الجديدة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة مصر، دط، 1998، ص 9.

<sup>3</sup> - علي خفيف، التجربة النقدية عند عبد الملك مرتاض، ص 34.

ويضرب فاضل ثامر أمثلة بكتابات: «عبد السلام المسدي، كمال أبو ديب، خالدة سعيد ومحمد مفتاح، محمد بنيس، وصبري حافظ، جابر عصفور، سيزا قاسم، عبد الله الغدامي وغيرهم...»<sup>1</sup>.

يقول رزان محمود إبراهيم: «إلا أننا في هذا السياق نشير إلى أن الناقد الروائي العربي كان مضطراً إلى الانجذاب المطلق نحو المنجز النقدي الغربي، خلافاً للشعر الذي امتلك التراث العربي بشأنه ممارسة نقدية تتيح للناقد فرصة تمثله، والالتفات إليه في كثير من الأحيان، الأمر الذي يمكن التدليل عليه من خلال غزارة الإحالات على المراجع الغربية المترجمة التي تزخر بها أغلب الدراسات النقدية عن الرواية العربية، وبهذا تتحول الأعمال الروائية لفضاء غرضه إثبات كفاية المناهج الإجرائية، وبذلك تصبح النصوص في خدمة المنهج لا العكس»<sup>2</sup>.

ويبدو الأمر وكأننا نلهث وراء هذا النقد، في محاولة نقل المفاهيم الصادرة عنه، وهو ما صوره «جابر عصفور» حين وصف عملية النقل هذه بأنها عرض يغلب عليه الانبهار الذي يعدو أن يكون نوعاً من أنواع المباهاة بمسايرة أحدث صراعات العصر وصيحاته.<sup>3</sup>

عموماً كثيراً ما تطالعنا آراء بشأن الفعاليات النقدية العربية بأنها لا تليق بالمنهج الغربي وامتداداته، فنجد «يوسف حامد جابر»، على سبيل المثال - في كتابه البنيوية في النقد العربي المعاصر - يتحدث عن فوضى منهجية عارمة على المستويين النظري والتطبيقي وهي الفوضى التي نلمسها ضمن فعاليات كل من «عبد الله الغدامي» الذي يصف طريقة عرضه بأنها تمت خارج إطار منهجي محدد، فظهرت كأنها معلومات متراكمة انفلتت من المنهجية وضاعت في إطار من الفوضى والتفكيك.<sup>4</sup>

أما محمد مفتاح فهو يمتح من مختلف المناهج الحديثة في تحليل الخطاب، من المقاربة البنيوية إلى الأدوات الأسلوبية، ومن التحليل السيميائي إلى الآليات التي تتيحها التداولية

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 35.

<sup>2</sup> - رزان محمود إبراهيم، الشرط التاريخي للنظرية العربية، ص 13.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 14.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 16.

وأبحاث الذكاء الاصطناعي، وعلم النفس المعرفي، هذا الاتساع في موضوع البحث، وهذه المحاولة في الإحاطة أو تحقيق التكامل في مستوى المنهج، يشكلان المصدر الأول لما تتمتع به أعمال الباحث من الجدية والرصانة...، على أن القراءة المتأنية لتلك الأعمال قادت إلى استظهار ما يمكن الحكم عليه باعتباره إشكالا مركزيا في تلك الأعمال.<sup>1</sup>

حيث يقع تركيز الباحث وبصورة ملحة ومتواصلة على تحقيب الثقافة المغربية وإعادة قراءة تراثها...، بل يتأكد من تردد الإشكال ذاته، التحقيب في أهم أعمال الباحث وأبرزها: التشابه والاختلاف، من أجل منهجية شمولية، التلقي والتأويل، مقارنة نسقية، المفاهيم معالم من أجل تأويل واقعي، وأخيرا مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي والمناقفة.<sup>2</sup>

أما ما يتعلق «بكمال أبو ديب» فقد بقي المنهج النقدي لديه حسب رؤية المؤلف - مشوشا إلى درجة تجعل من ملاحقة خطواته في التحليل أمرا صعبا، والتحول الذي نجده لا يكاد يقتصر على التنوع في المفاهيم وطرائق التحليل التي جسدها في دراسته، والتي يستشف منها تحول على مستوى فعالية المنهج النقدي لا على مستوى طريقة عرض المعلومات التي ازدحمت وتراكمت في دراسته، حتى أن تحليله للنصوص الشعرية يكاد يقتصر على ملاحقة حركتها وتفكيك مكوناتها، والنظر إليها بوصفها ثنائيات يمتلك كل منها دلالات خاصة، وهي ثنائيات تم رصدها وتحليلها، مما جعل من نتائج ممارسة «أبو ديب» النقدية موضع أخذ ورد على أكثر من مستوى.<sup>3</sup>

ولهذه وغيرها حاول النقاد العرب تغيير هذه المناهج لتلائم الثقافة العربية، وجعلها تتناسب مع دراساتهم للنصوص الأدبية العربية، وذلك بمحاولة خلق منهج تكاملي يبدأ من الخارج إلى الداخل أو بصيغة أخرى من التاريخ إلى النص.

ويعلق «عبد العزيز حمودة» على محاولات تعديل الأطروحات البنيوية أو تطويرها، كي تلائم الثقافة العربية بالقول: «أراد البنيويون العرب إمساك العصا من منتصفها، وتحقيق

<sup>1</sup> - محمد قراش، إشكالية التحقيب والنزعة الإقليمية في أعمال محمد مفتاح، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2006/2005 جزء منقول من المقدمة.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، جزء منقول من المقدمة.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص16.

معادلة خاصة بهم، تقوم على أساس دراسة العلاقة باعتبارها (داخل) ، وباعتبارها (خارج) غير منفصلة عن الواقع المادي الذي أفرزها، مما أوقعهم في بعض التناقضات ممن اتخذوا الوسطية مبدأ لهم، كمحمد مندور، الذي حذر من نقل الفكر الغربي والانفصال عن الواقع متبنياً دعوة للوسطية الثقافية تتمثل في رفضه للنقل وتقبله للتأثر»<sup>1</sup>.

وتحدث «محمد عبد الحميد» عن هذا المنحى لدى «محمد مندور» فقال: «ومهما يكن من أمر فيمكننا القول بأن الدراسات النقدية التطبيقية التي نحا فيها «مندور»، نحوًا مقارنًا للتكاملية كانت تقع ضمن مرحلته النقدية الوسطى التي وصفها «مندور» بالوصفية الموضوعية، ولا نجد بعد ذلك دراسات تطبيقية للشعر في المرحلة الثالثة الإيديولوجية، وقد كان سبيل مندور في هذا النقد المتكامل يشبه إلى حد كبير سبيل «طه حسين» فهما يبدأان من الخارج إلى الداخل، وبصيغة أخرى من التاريخ إلى النص، حيث يتجاوز الاتجاهان الفني والنفسي الأمر الذي يؤكد أنهما أرادا كتابة دراسة أدبية لا نقد أدبي في المقام الأول لمن يفرق بينهما»<sup>2</sup>.

ويرى البحث أنه لا بد من الحديث عن «عبد الملك مرتاض» الذي يمتلك مشروعاً نقدياً واسع الغنى والثراء في مجالات البحث والدراسة والتأليف العلمي، والأدبي باعتباره يمثل منهجاً من المناهج النقدية العربية.

عنوان «قادة عقاق» مقالته عن «عبد الملك مرتاض» «هاجس التأصيل المعرفي والتركيب المنهجي» ويقول: «وربما من أجل ذلك نجده يميل في مقارنته النقدية المتأخرة نسبياً إلى التركيب المنهجي المفتوح والمنشر عوض القراءة المغلقة المتوقعة ذات المنهج الواحد مزوجاً بين التراث البلاغي واللغوي والنقدي العربي، وبين تلك التصورات والآليات الحديثة التي يقدمها النسق المعرفي الغربي، انطلاقاً من هذا التصور المنهجي المركب نجده يتبنى كلمة (قراءة) عوض كلمة (نقد)، لأن هذه الأخيرة في رأيه لا تعدوا كونها مجرد قراءة

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 18.

<sup>2</sup> - محمد عبد الحميد، المرايا المتحورة، ص 86.

شخص محترف لنص أدبي ما، والأدوات التي يصطنعها في فهم النص أو قراءته أي تأويله هي التي تحدد معالم التحليل الذي ينشأ عن مسعاه الأدبي...، وإذا كان من واجبنا أو بالأحرى من حقنا في بداية هذه المداخلة موضعه مشروع أستاذنا الدكتور «عبد الملك مرتاض» ووضعه في إطاره الحضاري العام ونسقه المعرفي، فإننا لن نجد أحسن من موقعته ضمن ذلك التوجه الحضاري الذي لا يتنكر للذات - ممثلة في التراث - ولا ينغلق على ثقافة الآخر الوافدة، من خلال ذلك الحوار المنهجي الذي يقيمه بين القديم والجديد».<sup>1</sup>

يولي عبد الملك مرتاض أهمية كبرى للمنهج، ولهذا يبدأ بطرح الإشكاليات المنهجية في معظم كتبه النقدية.

«في كتابه ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي، لحكاية جمال بغداد، يكشف عن ملامح منهجه الجديد في قوله: أولى لنا أن ننشد منها شموليا تكون به القدرة على استكناه دقائق النص واستكشاف كوامنه، وتعريف مكانه دون أن نقع لا في فخ البنيويين الراضين للإنسان والتاريخ...، والاجتماعيون الذين يعللون كل شيء تعليلا طبقيًا...».<sup>2</sup>

كما بين في كتابه دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة «أين ليلاي - لمحمد العيد» الإجراءات التطبيقية لمنهجه السيميائي، ويرأي الدكتور مولاي علي بوخاتم، فإن هذا الكتاب يعد البداية الأولى وهو يشكل جزءا من مشروع نقدي ضخم سار من خلال اللسانيات والسيميائيات في العلوم الإنسانية، ونقطة نوعية في التأسيس الفعلي للاتجاه السيميائي والتفكيكي، والمطلع على هذه الدراسة ومنهجيتها يلاحظ التذبذب الذي لف عدته المنهجية رغم تبنيه ملامح سيميائية كعنوان الكتاب، إلى جانب ذلك يستشف أن منهجية الكتاب لا تختلف كثيرا عما اعتمده في كتابه «بنية الخطاب الشعري» فيما عدى تطويره لبعض الإجراءات والتعويل على الإفادة التفكيكية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - قادة عقاق: هاجس التأصيل النقدي عند عبد الملك مرتاض بين وعي التراث وطموح الحداثة، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، العدد 26، 2009/07/38.

<sup>2</sup> - طارق ثابت: عبد الملك مرتاض وجهوده في تحليل الخطاب الأدبي، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه.

إذا لم يسلم عبد الملك مرتاض من التذبذب الذي يطبع النقد العربي الحديث إلى حد التناقض، أحيانا بشكل يُصعّب من رصد ظواهره بسهولة ويسر، وتكثر الأسباب المؤدية إلى التذبذب والتناقض في النقد العربي الحديث.

يقول العقاد: «وفي كل عصر من عصور الأدب لا يستطيع الناقد أن يكون على يقين من تقابل اتجاهين مختلفين: أحدهما تغلب عليه المحافظة والآخر يغلب عليه التجديد، ثم يتوسط بينهما اتجاه معتدل لا إلى هذا الطرف ولا إلى ذلك».<sup>1</sup>

يرى البحث أن هذا القول يمكن تعميمه على الاتجاهات المختلفة ولو أن العقاد جاء به في سياق معين فيمكن أن يكون «الاتجاهين المختلفين» القديم والجديد، أو النقد الحدائى والتراث العربي أو المنهج الغربي والنص الأدبي العربي.

إن عدم الاقتصار على رؤية منهجية محددة، طبع النقد العربي الحديث بنوع من التذبذب هذا بالإضافة إلى قلة الكتابات النقدية مقارنة بالإبداع، كما أن النقد العربي لا يزال في مرحلة التأسيس لم يصل بعد إلى مرحلة التنظير والإضافة والإبداع، إلا في ما ندر، «فهو إلى حد الآن ما زال رهين الأخذ لا العطاء كما يقول رفيق الزايدى، إضافة إلى أن معظم الكتابات النقدية، وخاصة الحدائية غالبا ما تكون على شكل مقالات وبحوث منشورة في الجرائد والمجلات، وهذا يجعل الاطلاع عليها والإمام بها عملية صعبة ومستهلكة للوقت».<sup>2</sup> كما ينتبه البحث إلى صعوبة أخرى في غاية الأهمية، بل تعتبر عائق أمام الناقد، الباحث والمتلقي على حد سواء، وهي اختلاف المصطلحات الحديثة والاضطراب المصاحب لها.

وعموما فإن المتتبع لحركة النقد العربي منذ نشأته الأولى، يلاحظ أنه بقي يراوح دائما بين التجارب التأسيسية أو التطبيقات التجريبية، دون أن يرقى إلى منهجية نظرية تطبيقية نابغة من الأدب العربي نفسه.

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد، المذاهب الأدبية والاجتماعية، ص 17.  
<sup>2</sup> - أنظر علي خفيف، التجربة النقدية عند عبد الملك مرتاض، ص 27.

ولا شك أن افتقار الفكر العربي إلى منطلقات فلسفية واضحة، كان من العوامل الأساسية في تذبذب النقد الأدبي عند العرب.

ولتفادي هذا التذبذب والاضطراب في النقد العربي الحديث عليه أن يصاحب الانفتاح على الغرب، نوعاً من التآني والحذر في اختيار ما يتناسب وأصالتنا العربية، وقيمنا الفكرية والحضارية والعقائدية، وذلك كي يتسنى لنا تأسيس نظرية نقدية عربية معاصرة، دون أن تسلبنا شخصيتنا ولا تقوض معالم حضارتنا، هكذا يتجه النقد العربي إلى التجديد والإبداع.

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال: «على أننا مؤمنون بأن هذا العلم من علوم الدراسة الأدبية لا بد فيه - إلى جانب الإحاطة بنظرياته ومذاهبه وتاريخها - من التدقيق والدراسة والممارسة، والوقوف على رصيد رحب من التجارب الأدبية في مختلف الآداب...، وللناقد الجديد...، أن يمزج بين الآراء والنظريات في ممارسته للنقد ويفضل بعضها على بعض في وجهته الخاصة، أو يتجاوزها جميعاً ليخلق جديداً، ولكنه لن يبتكر شيئاً ذا قيمة، ولن تتم له ملكة النقد ما لم يحط بتراث الإنسانية في هذا العالم...، وللناقد بعد ذلك حريته بالاطلاع والوعي الناضج، كي تبين أصالته في الوحدة الخالقة التي لا جمود فيها ولا تحكم».<sup>1</sup>

ويرى البحث أن لا يطيل الحديث في هذا الموضوع المتشعب والشاسع، ويكتفي بهذا القدر لينتقل إلى الفصل الموالي، وهو التجربة التنظيرية عند «جابر عصفور».

<sup>1</sup> - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1997، ص5.

## الفصل الثالث: التجربة التطبيقية عند جابر عصفور.

## تمهيد:

يرمي البحث من هذا الفصل إلى محاولة إسقاط ما سبق ذكره، في الفصل التنظيري على أنموذجين من أعمال «جابر عصفور» يتمثل الأنموذج الأول في جزء من كتاب «الصورة الفنية» وتتاول البحث الفصل الرابع من هذا الكتاب، إن اختيار هذا الكتاب يعود إلى أنه يمثل الأنموذج الشعري وهذا لا يعني أنه الأنموذج الشعري الوحيد لجابر عصفور، فلهذا أيضا مفهوم الشعر، قراءة التراث النقدي وغيرهما.

أما بالنسبة للأنموذج النثري، فقد وقع الاختيار على كتاب «نظريات معاصرة»، وبهذا يكون البحث قد أعطى صورة ولو بسيطة عن أسلوب هذا الناقد في الدراسة، فهو لم يحدث قطيعة مع التراث، كما فعل آخرون، ولم يعادي المناهج المعاصرة، كما فعل بعض النقاد بل حاول أن يستفيد من كليهما ويفيد الساحة الأدبية والنقدية.

الأنموذج الأول: الفصل الرابع من كتاب الصورة الفنية بعنوان "التصوير والتقديم الحسي".

يمثل كتاب «الصورة الفنية» الأنموذج الأسبق لدراسة التراث عند «جابر عصفور»، فقد تلتته دراسات عديدة ومتنوعة، كان بعضها تنمته له وإجابات لتساؤلات طُرحت من خلاله وهذا على حد تعبير «مؤلفه».

يقول «جابر عصفور» في مقدمة كتاب «قراءة التراث النقدي»: «...نفتش في التراث عن عناصر للقيمة الموجبة أو السالبة، بالمعنى الذي يتحدد إطاره المرجعي بالمواقف الفكرية التي تنطلق منها، فعلت ذلك في كتاب «الصورة الفنية» الذي صدرت طبعته الأولى عام 1974م، ومنذ أن صدر هذان الكتابان والأسئلة لا تنقطع (...)، وأتصور أن الدراسات التي يقوم عليها هذا الكتاب هي بعض الإجابة على الأسئلة السابقة...»<sup>1</sup>

### 1. قراءة في المقدمة.

وبفتتح «جابر عصفور» مقدمة هذا الكتاب بالحديث عن النظرية النقدية المعاصرة، على حد تعبيره، فيوضح كيف أن النظرية النقدية المعاصرة تولي اهتماماً بالخصائص النوعية للأدب، من حيث أنها تعتبره نشاطاً تخيلياً، ذو طبيعة متميزة عن غيره من الأنشطة الإنسانية، لذلك فإن النقد المعاصر يدرس النص الشعري باعتباره بنية من العلاقات، يكشف تفاعلها عن معنى القصيدة، كما أنه يعمق وعي المتلقي بنفسه، وخبراته بالواقع، وبهذه الأسباب مجتمعة تظهر أهمية الصورة الفنية للناقد المعاصر.<sup>2</sup>

ويستشف البحث من القول السابق «لجابر عصفور» أن منطلقه هو تمييز الخصائص النوعية للشعر، وذلك من الجملة (تولي اهتماماً بالخصائص النوعية للأدب، من حيث أنها تعتبره نشاطاً تخيلياً)، وبرزت إحدى الثنائيات المؤسسة للمنهج الذي تبناه (شعر، تخيل) وهو المنهج البنيوي، ويستنتج البحث هذا من خلال جمل مثل ( النظرية المعاصرة تولي

<sup>1</sup> - جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، ص5.

<sup>2</sup> - أنظر جابر عصفور: الصورة الفنية، ص7.

اهتماماً بالخصائص النوعية للأدب)، وأيضاً قوله: «النقد المعاصر يدرس النص الشعري باعتباره بنية من العلاقات»، ونادراً ما درس «جابر عصفور» الشعر خارج المقولات التي وضعها التراثيون، مثل الموسيقى والتخييل، الشعر والنثر، الطبع والصنعة... إلخ.

ويقول «جابر عصفور»: «...ومن هذه الزاوية تظهر أهمية الصورة الفنية للناقد المعاصر فهي وسيلته التي يستكشف بها القصيدة، وموقف الشاعر من الواقع، وهي إحدى معايير الهامة في الحكم على أصالة التجربة، وقدرة الشاعر على تشكيلها، في نسق يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاه»<sup>1</sup>

وبالنسبة لتواجد هذا المصطلح: «الصورة الفنية» في التراث النقدي العربي القديم، فإن «جابر عصفور» يرى أنه رغم أن هذا المصطلح حديث، إلا أن المشاكل والقضايا التي يعالجها وي طرحها موجودة في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، مع الاختلاف في طريقة التناول والعرض، وتمييز جوانب التركيز ودرجات الاهتمام.<sup>2</sup>

يتحدث «جابر عصفور» باهتمام عن القضايا التي عالجها التراث النقدي العربي خصوصاً تلك المتعلقة بالصورة الفنية، وأوضح كيف أنه عالجها معالجة تتناسب مع ظروفه التاريخية والحضارية، وأبرز «جابر» هذه القضايا وهي:

- اهتم كل الاهتمام بالتحليل البلاغي للصورة القرآنية، وتمييز أنواعها وأنماطها المجازية.
- ركز على دراسة الصورة الشعرية عند الشعراء الكبار، أمثال أبي تمام والبحتري، وابن المعتز.
- انتبه إلى الإثارة اللافتة التي تحدثها الصورة في المثلثي، وقرن هذه الإثارة بنوع متميز من اللذة.

<sup>1</sup> - أنظر المصدر السابق ص 7.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 7.

- التفت نوعاً ما إلى الصلة الوثيقة، بين الصورة والشعر، باعتبارها إحدى خصائصه التي تميزه عن غيره، فضلاً على أن الصورة كانت تفرض نفسها على وعي الناقد القديم، أثناء بحثه عن القضايا التي تشغله، مثل الموازنة والسرقات، وأثناء تتبعه لما حققه الشعراء من اختراع وابتكار.<sup>1</sup>

ويرى «جابر عصفور» أن التراث النقدي العربي، وخاصة فيما يخص موضوع الصورة الفنية لم يأخذ حقه من الدرس والمعالجة، فلا أحد من الباحثين المحدثين خصص بحثاً أو أبحاثاً قائمة بذاتها، يتناول فيها ما توصل إليه أسلافنا من النقاد البلاغيين في درسه العلمي للنصوص، أو يوضح بشكل تفصيلي إضافاتهم الأصلية إلى التراث اليوناني البلاغي والنقدي، وأن دراستهم لمشكلة الصورة كان شيئاً عرضياً.<sup>2</sup>

ويظهر من القول السالف الذكر «لجابر عصفور» اهتمامه لما يُقدم في الساحة الفنية والنقدية العربية، وخاصة في الدراسات التي تخص التراث، وتفصيله للجوانب التي مازالت تحتاج إلى دراسات دقيقة ومعقدة خاصة في «الصورة الفنية»، وهذا ما يتضح من خلال إدراج «جابر عصفور» ضمن مقدمته للكتاب، نقداً حول دراسة الدكتور «مصطفى ناصف» التي خصصها للصورة الأدبية ذلك بأنه لم يهتم بمناقشة المفاهيم القديمة للصورة.

«لقد حاول جابر عصفور إثبات عكس ما ذهب إليه مصطفى ناصف في إحدى فرضياته (نفي الأثر النفسي) وذلك بإثبات منبع الصورة الفنية الذي هو الأثر النفسي للشاعر، إلى درجة أن العلاقات التي أقامها بين البلاغة وفن الرسم وُجد عند «عبد القاهر الجرجاني» شيئاً يشبه (الأثر النفسي)، الذي كان «مصطفى ناصف» قد نفاه وفنده متذرعاً بحججه وهذا بتصريح من جابر عصفور نفسه في مقدمة الكتاب.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- أنظر المصدر السابق، ص8.

<sup>2</sup>- أنظر نفسه، ص8.

<sup>3</sup>- أنظر نصيرة علاك: الشفاهي والكتابي في الخطاب النقدي عند جابر عصفور، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، المدرسة العليا للأساتذة الجزائر، 2008/2009 ص 57-58.

يقول «جابر عصفور» عن دراسة «مصطفى ناصف»: «رغم أهمية ما حققته لم تبذل جهداً في تأمل المفاهيم القديمة للصورة ومناقشتها، فتركت معالجة نظرية الخيال في التراث، بحجة أن النقد العربي لم يعرف الاحتفال بالقوى النفسية ذات الشأن في إنتاج الشعر، ثم تخلصت من النقد القديم برمته في فصلين عن المعنى الأدبي، والتشبيه والمؤثرات الروحية في بحث الاستعارة، لتفرغ إلى دراسة الصورة الأدبية في النقد المعاصر.»<sup>1</sup>

ويرى «عصفور» أن الكشف عما توصل إليه التراث النقدي البلاغي من إنجازات تتعلق بالصورة الفنية، يتم بدراسة جوانب ثلاثة مهمة هي: أولاً الخيال أو الملكة التي تشكل صورة القصيدة وتصل ما بينها في عمل أدبي، دراسة طبيعة الصورة ذاتها باعتبارها نتاجاً لهذه الملكة ونسيجاً متميزاً من العلاقات اللغوية، يقدم المعنى تقديماً حسيماً، وثالثاً دراسة الوظيفة التي تؤديها الصورة في العمل الأدبي وأهميتها للمبدع والمتلقي على السواء.<sup>2</sup>

ولإيضاح الجانب المتميز الذي نظر به «جابر عصفور» إلى الصورة الفنية أوردت صحيفة الوسط البحرينية حديثاً مفاده:

«وحول غواية الصورة في كتاب الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي عند العرب» تطرق الباحث «ليديم ناصر» للصورة انطلاقاً من معالجتها على امتداد قرون عديدة، الأمر الذي يسمح بالبحث في ركائزها وبالقدر نفسه التساؤل حول أهميتها (...). وما يلفت الانتباه أن «جابر» تميز عن غيره في ربط النقد ونظرته إليه في ضوء علاقته مع غيره من الأنماط المشكّلة للتراث، وخصوصاً التصوف الذي لم يكن يدرج عادة في نطاق دراسة التراث، وهذه العلاقة هي التي منحت دراسته بعداً شكلياً، وجعلت مفهوم القراءة ينطبق عليها، فلولاها لكانت دراسة الصورة الفنية، مثل عديد الدراسات التي تلج نقد النقد من باب العرض والتاريخ والتكرار.»<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- جابر عصفور: الصورة الفنية، ص8.

<sup>2</sup>- أنظر نفسه، ص9.

<sup>3</sup>- ليديم ناصر، قراءات في مشاريع جابر عصفور النقدية، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 3009، الخميس 2 ديسمبر 2010.

ويتحدث «عصفور» في مقدمته أيضا عن النتائج التي توصل إليها، والتي كانت على حد قوله: «بمثابة ضوء يكشف الأسباب التي أدت بالناقد القديم إلى الإلحاح على ضرورة التناسب المنطقي الصارم بين عناصر الصورة، ونفوره اللافت من الوثبات الخيالية التي تلغي الفواصل والحدود بين الأشياء، وحرصه الشديد على الوضوح وإدراكه التمييز بين العناصر، والانفصال الكامل بين المدركات، مما يترتب عليه تفضيل التشبيه على الاستعارة وحصر الاستعارة - لو فضلت - في علاقة واحدة جامدة، هي علاقة التشابه المنطقي.»<sup>1</sup>

أما عن طبيعة الصورة، فقد نظر إليها من جانبيين، تراعي كل منهما جانبا من جانبي الصورة في مفهومها القديم:

الجانب الأول: اعتبار الصورة أنواعا بلاغية وعلى حد قوله، فقد مهد لدراسة هذا الجانب من الصورة، بدراسة ما أسهمت به بيئة اللغويين في تحديد مفهوم التشبيه وعلاقته بالشعر فضلا عن طبيعة اللغة الشعرية، وما أسهمت به بيئة المتكلمين في بحث المجاز وتأصيل موضوعاته وتحديد طبيعته، وما أضافته بيئة الفلاسفة من ربط قوي بين الأنواع البلاغية للصورة وبين عملية التخيل الشعري.

أما الجانب الثاني: فيعالج طبيعة الصورة باعتبارها تقديمًا حسيًا للمعنى، ولقد لاحظ النقاد علاقة الصورة بمدركات الحس، وقدرتها المتميزة على مخاطبة إحساسات المتلقي، وإثارة «صورة ذهنية» في مخيلته، ولقد دعمت المعارف الفلسفية المترجمة فهم هذا الجانب من الصورة، كما أنها شجعت الميل إلى حصر الصورة الفنية في النمط البصري وحده، فكان أفضل الوصف ما يجعلك وأنت تسمع كأنك تشاهد، وما يؤكد ذلك المقارنة القديمة بين الشعر والرسم.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - جابر عصفور الصورة الفنية ، ص10

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص10.

ولدراسة ومعالجة ما سبق ذكره، قسم جابر عصفور كتابه إلى أربعة فصول هي على التوالي:

الفصل الأول، يركز على طبيعة الخيال وعلاقته بالصورة، الفصل الثاني والثالث، اهتمامه بالأنواع البلاغية للصورة، وانصرف الفصل الرابع إلى دراسة التصوير والتقديم الحسي للمعنى، أما الفصل الخامس والأخير فقد خصه الناقد لأهمية الصورة ووظائفها في التصوير والتقديم، ويقول عن هذا الفصل: «فبدأت بالفرضية القديمة عن علاقة الصورة بالمعنى، وما ترتب عليها من تحديد لأهمية الصورة، ثم توقفت عند التركيز على فهم الجانب الوظيفي للصورة من زاوية المتلقي فحسب، وأفضت فيما ترتب على ربط الوظائف الفرعية للصورة بالوظائف العامة للشعر، وضرورة تناسبها مع مقتضيات الأحوال الخارجية أو مقامات المستمعين.»<sup>1</sup>

وعلى حد قوله حاول التعامل مع التراث النقدي والبلاغي، وذلك بالنظر إلى علاقته المتفاعلة بغيره من العلوم والمعارف التي ساهمت في اتزانه وتوجيه مسار قضاياها المرتبطة بمبحث الصورة، مثل الفلسفة وعلم الكلام، واللغة والتفسير، وسبب ذلك أن المنظرين للنقد والبلاغة العربية هم من المتكلمين، والصلة بين المتكلمين والفلاسفة صلة وثيقة، فضلا عن ذلك أنهم كانوا علماء لغة أو تفسير بارزين، خير دليل على ذلك الجاحظ، الروماني الزمخشري، عبد القاهر، الباقلاني.<sup>2</sup>

يرى «عصفور» أنه لا يمكن فهم حديث حازم القرطاجني على «الصورة الذهنية» من حيث دلالتها على ما هو خارج الذهن، ولا يمكن أيضا فهم إلحاحه على التطابق الحاصل بين الصورة الحاصلة في الذهن والأشياء الموجودة في الأعيان، إلا بالرجوع إلى أصوله

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص 11.

<sup>2</sup> - أنظر نفسه، ص 11.

الفلسفة التي أفادها من الفارابي وابن سينا وابن رشد، وذلك في مباحثهم عن النفس، أو في شروحهم لكتب أرسطو خاصة كتابي الشعر والخطابة.

ويقول في ذلك: «لقد أتاحت لي هذه النظرة التعرف على جوانب ثرية في التراث، كنت أجهلها كل الجهل، وأظن أن الدراسات الحديثة لم تسلط عليها ضوءا كافيا بعد.»<sup>1</sup>

وفي آخر المقدمة يقول بأنه حاول أن ينظر إلى التراث من خلال فهم معاصر للصورة الفنية، وأن ذلك الفهم قد وجه اختياره للمشاكل أو طريقة العرض،<sup>2</sup> ونجد كلاما مشابها لكلامه هذا في مقدمة كتابه غواية التراث، حيث يقول أغواني طه حسين بقراءة التراث الأدبي من منظور الزمن الذي أعيش فيه.<sup>3</sup>

يشير «عصفور» إلى الحذر الذي رافقه في النظرة المعاصرة للتراث، وذلك خوفا من المزالق، إذا ما طبقت هذه النظرة تطبيقا عشوائيا أو بحماس زائد على القديم، كما يشير إلى أنه لا يجب أن يمنعنا تقديرنا للتاريخ من اتخاذ موقف نقدي منه في ضوء وعينا المعاصر وهذا الكلام عن التاريخ يذكر البحث بما أشار إليه عصفور سابقا، بأن دراسة قضايا قديمة عبر التاريخ يجب أن تكون دراسة وفق استقصاء دقيق للمواضيع وفي إطار منهج واضح في المعالجة.

ويواصل قائلاً أنه ليكون هذا التراث متفاعلا مع حاضرنا، يجب أن يكون لنا دائما موقف واضح منه.<sup>4</sup>

وسيكثفي البحث نظرا لشساعة مواضيع الكتاب وتعمدها بالحديث عن الفصل الرابع، وذلك دون التعمق في التفاصيل المتشعبة، وقد حمل هذا الفصل عنوان «التصوير والتقديم الحسي».

<sup>1</sup> - جابر عصفور، الصورة الفنية، ص 11.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 11.

<sup>3</sup> - جابر عصفور، غواية التراث، ص 5.

<sup>4</sup> - جابر عصفور: الصورة الفنية، ص 12.

## 2. طرح الجاحظ للفكرة.

بدأ «جابر عصفور» هذا الفصل بالتبنيه إلى أن الجاحظ هو الذي طرح هذه الفكرة، أي فكرة التصوير والتقديم الحسي، وذلك عندما قال: «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير، يقول بأن الجاحظ بهذه المقولة الشهيرة كان يطرح لأول مرة في التاريخ العربي، بعض الأفكار الهامة التي سيطرت على أجيال طويلة من البلاغيين والنقاد من بعده، والشعر عند الجاحظ نشاط متميز، قد لا يؤدي بنا إلى ضرب خاص من المعرفة مثل الفلسفة، وقد تكون فائدته محصورة، وليست عامة مثل الصناعات والعلوم وذلك لما يحققه لنا من متعة، وبتأثيره في نفوسنا، عندما يصوغ الأفكار المألوفة صياغة جديدة تكسبها غرابة، وطرافة، وجدة لم تكن لها من قبل.»<sup>1</sup>

هذه النظرة جعلت الجاحظ يضيق بالنظرة اللغوية الصارمة إلى الشعر يقول «جابر عصفور»: «تلك النظرة التي لا ترى في الشعر إلا كلماته الغامضة ومعانيه المشكّلة التي تستحق التأويل، وتصلح لأن تكون نماذج لتعليم اللغة والغريب والإعراب، كما يضيق بالنظرة السلفية التي تقصر الشاعرية على جيل دون جيل وعصر دون عصر، وبالنظرة الأخلاقية الصارمة التي لا تحترم الشعر إلا ما احتوى حكمة أخلاقية، أو قام على مغزى ديني مباشر.»<sup>2</sup>

وهذا ما جعل الجاحظ يهاجم أبي عمرو الشيباني، عندما أعجب ببيتين هما:

لا تحسبن الموت موت البلى	فإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت، ولكن ذا	أفزع من ذاك لذل السؤال.

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص 255- ص256.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص256.

بينما رأى الجاحظ أنهما لا يدخلان عالم الشعر، لأنه اعتمد على نظم الحكم والأفكار المجردة، بينما المعمول به في الشعر القدرة على صياغة هذه الأفكار صياغة جديدة مؤثرة تعتمد على التصوير (...). ويواصل «جابر عصفور» قائلاً: «العبارة على انفعاليتها تقدم لنا مصطلحاً هاماً بالنسبة لموضوعنا، وهو التصوير، وأشار إلى أن المصطلح كان يستخدم قبل الجاحظ، إلا أنه هنا يكتسب دلالة خاصة، ويشي على حد تعبير جابر عصفور- داخل سياقه- بثلاثة مبادئ لها ما يدعمها في كتب الجاحظ.»<sup>1</sup>

أول هذه المبادئ: أن للشعر أسلوباً خاصاً في صياغة الأفكار أو المعاني، ويقوم على إثارة الانفعال واستمالة المتلقي إلى موقف من المواقف.

وثانيها: أن أسلوب الشعر في الصياغة يقوم على تقديم المعنى بطريقة حسية، وذلك في جانب كبير منه، ويترادف ذلك مع ما نسميه الآن بالتجسيم.

وثالثها: أن التقديم الحسي للشعر يجعله قريباً للرسم، ومشابهاً له في طريقة التشكيل والصياغة، والتأثير والتلقي، مع الاختلاف بينهما في المادة التي يصوغ أو يصور بواسطتها.

ويرى «جابر عصفور» أن الجاحظ أحياناً، يستخدم كلمة «التصوير» ليشير بها إلى المخادعة حيث يُقدّم الشيء على أنه شيء آخر، وهنا يترادف «التصوير» مع «التخييل».<sup>2</sup>

ويجد البحث مثلاً عن ذلك في كتاب «جابر عصفور» غواية التراث في حديثه عن شعر الصعاليك.

يقول: «...إنما اقتحمت هذه القصيدة من أفق العلاقة بين الإنسان والحيوان، ما كان موازياً للعلاقة الغربية بكائنات الصحراء الخرافية، وتلتقي لامية الشنفرى (لامية العرب) بعينية "تأبط شراً" في السياق، حيث تستبدل اللامية بالبشر أصناف الحيوان (ذئب قوي ونمر

<sup>1</sup>- جابر عصفور الصورة الفنية، ص256.

<sup>2</sup>- أنظر المصدر نفسه، ص257-258.

ألمس، وأفعى ملساء، وضبع ذات عرف طويل) التي وجدت عندها ما افتقدته من دنيا البشر من الأمان والوفاء والإخلاص...»<sup>1</sup>

ويقول جابر عصفور أنه لا يوجد أساساً نظرياً للمقارنة بين هذين الفنين الشعر والرسم في كتابات الجاحظ، غير أن بعض أحكامه النقدية تؤكد جنوح الجاحظ إلى هذه المقارنة وتفضيله للشعر الذي يقدم مشهداً واضحاً لمخيلة المتلقي، فيجعل أبياته كأنها لوحة يرسمها رسام.

وهذا ما جعل الجاحظ يحكم على أبيات لأبي نواس بأنها أفضل ما قدم أبو نواس وهي<sup>2</sup>:

ودار ندي عطلوها وأدلجوا	بها أثر منهم جديد ودارسُ
مساحب من جرّ الزقاق على الثرى	وأضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم	واني على أمثال تلك لحابس
تدار علينا الراح في عسجدية	حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها	مها تدريها بالقسي الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها	وللماء ما دارت عليه القلائس

ويرى جابر عصفور في طرح الجاحظ لهذه الفكرة طرحاً - لأول مرة في النقد العربي - لفكرة الجانب الحسي للشعر، وقدرته على إثارة صور بصرية في ذهن المتلقي.<sup>3</sup>

وضمن عنوان آخر أدرجه «جابر عصفور» وهو «تصور الفكرة في الدراسة الأسلوبية في القرآن» وفي هذه الفكرة تحدث عن الرمانى ووقفه أمام مشكلة الإعجاز ومحاولته أن يربط جانباً منها، ببلاغة النص القرآني.

<sup>1</sup> - جابر عصفور: غواية التراث، ص 102.

<sup>2</sup> - جابر عصفور: الصورة الفنية، ص 260.

<sup>3</sup> - نظر نفسه، ص 260.

وطريقته الفذة في تقديم المعنى للمتلقي، ولن يتعمق البحث في الحديث عن هذه القضية لأن أكثر ما يهم البحث هو الحديث عما يخص الشعر.

### 3. تطور الفكرة في الدراسة الأسلوبية للشعر.

وفي حديث «جابر عصفور» عن تطور الفكرة في الدراسة الأسلوبية للشعر، أي فكرة التصوير بالتقديم الحسي في الشعر، يقول: «أن للفكرة جانبين، يتصل الجانب الأول منهما بقدرة الشعر الوصفي على محاكاة الموصوف، ويصوره للمتلقي كأنه يراه، ويصل الجانب الثاني بقدرة التشبيه أو الاستعارة أو المجاز عموماً، على إثارة إحساسات واضحة في ذهن المتلقي أو تصوير المعنى، تصويراً حسياً»<sup>1</sup>

وهذا ما سيركز عليه «جابر عصفور» في الفصل الرابع من الكتاب فقد ترك الجانب الأول للفصل الخامس.

ويظهر ذلك الجانب الثاني، أي تصوير المعنى تصويراً حسياً، فيما تقوم به الصورة المجازية من ربط بين شيئين أحدهما حسي بالضرورة، عن طريق المقارنة أو الاستبدال بشكل يجعلنا نشعر بشيء حسي أو أننا نواجه شيئاً محسوساً.<sup>2</sup>

وهذه الفكرة ظهرت منذ القرن الرابع، للهجرة مع الرماني بشكل خاص.

على هذه الطريقة كان العرب ينظرون إلى الخيال (قانون العلاقات) والوزن (قانون الإيقاع) من زاوية محاكاة قانون الطبيعة، على نحو ما تنعكس في العقل، ومثلما تمثلت في نموذج الشعر الجاهلي، واتخذوا منها أساساً للحكم على الجمالي، وغدا الجمال الشعري بذلك محاكاة لهذه القوانين التي نجدها مقننة في عمود الشعر «للمرزوقي»، وإذا رأينا هذه التقاليد بمثابة قاعدة تُنفذ عبرها الصور، وجعلنا من ذلك القانون (الإيقاع) يشمل كذلك المستوى

<sup>1</sup>- أنظر المصدر السابق ، ص 271.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه ، ص 271.

التركيبية، وأتينا إلى (التناسب) لنجعله يشغل أيضا مستوى الصورة، فما على الباحث حينئذ إلا أن يقتنع بضرورة اتخاذ المحاور السياقية (التركيبية) والاستبدالية أساسا لدراسة الصورة التي تنهض بمهام كثيرة، تتفاوت من التأكيد فالتمثيل إلى التأثير، فالشكل البلاغي الضمان والناظم لهذه التعددية.<sup>1</sup>

وحين يطبق «جابر عصفور» مادته النظرية، على نصوص ما في مقالاته المختلفة، نجد انسجاما منقطع النظير بين تلك المادة، وبين ما يطرأ على الساحة الثقافية المصرية خاصة والعربية عامة والثابتة والمتغيرة على حد سواء.<sup>2</sup>

ويذكر «جابر عصفور» فكرة «الرماني» التي تتلخص في أن التشبيه والاستعارة يخرجان الأغمض إلى الأوضح، ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه، والمُشاهد أوضح من الغائب، لذلك فإن التشبيه المرتبط بالمحسوس أوضح في العقل، والاستعارة المرتبطة بالحسي المُشاهد أقرب إلى الإفهام والتأثير.<sup>3</sup>

وعلى حد قول «جابر عصفور» فإن هذه الفكرة أفاد منها الكثير من النقاد والبلاغيين مثل «العسكري» و «المرزوقي»، «ابن رشد» و «ابن سنان الخفاجي» وغيرهم.

ويقول بأن العسكري والمرزوقي وابن سنان، لم يكونوا على نفس المستوى الثقافي الذي كان عليه الرماني، ومن هنا ظل عرضهم لفكرة التصوير وصلتها بالتقديم الحسي عرضا عمليا محدودا، يعتمد أكثر شيء على ما قيل.<sup>4</sup>

أما فيما يخص «عبد القاهر» فإن تركيزه على الجانب البصري الخالص، من التقديم الحسي للمعنى -في التصوير الشعري- جعله يقارن بين عمل الشاعر وعمل الرسام، على

<sup>1</sup> - نصيرة علاك: الشفاهي والكتابي في الخطاب النقدي لجابر عصفور، ص70.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص70.

<sup>3</sup> - جابر عصفور: الصورة الفنية، ص 272.

<sup>4</sup> - أنظر المصدر نفسه، ص278.

أساس أن الاحتفال بالصنعة في التصويرات والتخيالات الشعرية، تفعل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر إلى «التصاوير التي يشكلها الحذاق من الرسامين»<sup>1</sup>

والمقاربة بين الشعر والرسم في هذا المجال، مبحث ازدهر عند شراح أرسطو، الذين تقبلوا فكرته، عن أن الشعر والرسم نوعان من أنواع المحاكاة، قد يتمايزان في المادة التي يُحاكيان بها، لكنهما يتفقان في طبيعة المحاكاة وطريقتها في التشكيل، وبذلك تصبح المقارنة بين الشعر والرسم في جوانب ثلاث (...)، أولاً أن كل من الشاعر والرسام قد ينقل العالم في أشكال فنية، والثاني أن طريقة الشاعر في تشكيل مادته تشبه طريقة الرسام، على أساس أن كليهما يهدف إلى إحداث أقصى قدر ممكن من التناصب والتآلف بين عناصر مادته، ثالثاً أن كلا من الشاعر والرسام، بنجاحه في صياغة مادته، يمكن أن يحدث تأثيراً خاصاً في النفوس.<sup>2</sup>

وفي حديث عن الصياغة «لجابر عصفور» في كتابه مفهوم الشعر، تظهر نظريته المميزة لهذه الخاصية، وذلك في الجزء المخصص «لأبن طباطبا»...تُرَدنا إلى فرض ابن طباطبا الأساسي عن أولى مراحل الصنعة، وضرورة أن يمحص الشاعر المعنى في فكره نثراً قبل صياغته أو نظمه، وهو فرض له صلة -في النهاية- بكمال العقل الذي تتميز به الأضداد أو لنقل تتميز به الصناعات، من حيث الصور والأشكال، ما دامت الصورة هي التي تميز مادة عن مادة فهي التي تميز المتأخر عن المتقدم، أو المحدث عن غيره، من المحدثين»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أنظر المصدر السابق، ص 281.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 284-287.

<sup>3</sup> - أنظر جابر عصفور: مفهوم الشعر، ص 40.

## 4. العلاقة بين الشعر والرسم.

يتحدث جابر عصفور عن ابن رشد الذي هو الآخر يرى علاقة تشابه بين الشعر والرسم، فيقول: «ويوضح ابن رشد هو الآخر هذه الحقيقة، فهو يقول ما مؤداه أن الشاعر يضطر إلى الاستعانة، بالأشياء الخارجية، إذا قصد محاكاة الاعتقادات والأفكار المعنوية ذلك لأن تخيلها يعسر إذا كانت ليست أفعالا أو جواهر، ويوضح ابن رشد الفكرة أكثر عندما يقول: «فكما أن المصور الحاذق يصور الشيء بحسب ما هو عليه في الوجود، حتى أنهم قد يصورون الغضاب والكسالى مع أنها صفات نفسية، كذلك يجب أن يكون الشاعر في محاكاته يصور كل شيء بحسب ما هو عليه حتى يحاكي الاختلاف وأحوال النفس...»<sup>1</sup>

وفي هذا المعنى يقول جابر عصفور: «تظل العلاقة بين الشاعر والرسام في هذا الجانب واضحة، فكلاهما يخيل الأشياء إلى المتلقي ويقدهما تقديمًا محسوسًا»<sup>2</sup>.

وفيما يخص التقديم الحسي والخصائص النوعية للشعر، يرى «جابر عصفور» أن البلاغيين والنقاد العرب تعاملوا مع فكرة التقديم الحسي للتصوير الشعري في حدود عملية ضيقة، تنحصر في قدرة الشعر على وصف الأشياء وبراعته في نقلها إلى المتلقي (...). وقدرته على تجسيم المعنوي، أو بث الحياة في الجوامد عن طريق التشبيه والاستعارة أو التمثيل، لكنهم لم يهتموا بما يمكن أن يميز الشاعر عن غيره، فالتصوير يمكن أن يوجد في الشعر أو النثر أو القرآن، فما هي الفوارق بين التصوير الشعري وغيره؟ يقول «جابر» هذا السؤال لم يجب عليه أحد، ومن الصعب أن نقول شيئًا عن الرمانى لأن جل كتبه مفقودة...»<sup>3</sup>

«ولا أظن أن بلاغيا أو ناقدا عربيا قد استطاع في الفترة التي ندرسها إن يحقق ذلك، وينظر إلى التصوير، أو التمثيل أو التخيل، على أنها عناصر هامة، ترتبط أوثق ارتباط

<sup>1</sup> - جابر عصفور، الصورة الفنية، ص 286.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 287.

<sup>3</sup> - أنظر المصدر نفسه، ص 294.

بطبيعة الشعر و حقيقته الذاتية التي تميزه (...). إلى أن تحقيق ذلك أمرا عسيرا لأنه لا يتم بمجرد شذو قشور من أفكار أرسطو، فهي أفكار ظلت غير مفهومة كل الفهم عند البلاغيين والنقاد في تلك الفترة...»<sup>1</sup>

### 5. تأصيل حازم لمفهوم التقديم الحسي.

وبالنسبة لتأصيل حازم لمفهوم التقديم الحسي: يقول « جابر عصفور»: «الشعر عند حازم إثارة تخيلية لانفعالات المتلقي، و يقصد بها دفعه إلى اتخاذ وقفة سلوكية خاصة تؤدي به إلى فعل شيء، أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله، هذه الإثارة تحدث عند المتلقي فيما يسميه علم النفس القديم (قوى الإدراك الباطن)(...).»<sup>2</sup>

بهذا المفهوم السيكلوجي لم تعد الصورة عنده تشير إلى مجرد الشكل أو الصياغة، ولم تعد تحوم حول مفهوم التقديم الحسي، و إنما أصبحت محددة في دلالة سيكلوجية خاصة تترادف مع الاستعادة الذهنية لمدرک حسي غاب عن مجال الإدراك المباشر، وتتصل بكل ماله صلة بالتعبير الحسي للشعر...»<sup>3</sup>

«إذن، فلا مجال في الشعر للتجريد أو للمعاني المتعلقة بإدراك العقل الخالص ذلك أن المعاني التي تتعلق بإدراك الحس هي التي تدور عليها مقاصد الشعر، وتكون مذكورة فيه لأنفسها، و المعاني المتعلقة بإدراك الذهن ليس لمقاصد الشعر حولها مدار»<sup>4</sup>

«وعلى هذا الأساس يؤمن حازم بوجود فارق جذري، بين الأقاويل الشعرية، والأقاويل العلمية، من حيث طبيعة كل منها وغايتها، والنشاط الذهني الذي يكمن وراءها...»<sup>5</sup>

<sup>1</sup>- المصدر السابق ، ص 297.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص298.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 298،299.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص 302.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص302.

«وهذا الرأي لم يعد وقفاً على قراء التراث من زاوية النقد الأدبي، بل صار يُتداول في اشد الزوايا تخصصاً، فهذا «محمد العمري» يقول في إحدى قراءاته المبرزة للبلاغة العربية: «ويقوم تعريف حازم بين الخطابة والشعر على أساس المكوّن المميّز لكل منهما، فالشعر مبني على التخيل، وقد يستعمل مكونات الإقناع الخطابي ضمن هيمنة العنصر الذاتي وعكس ذلك يصدق على الخطابة التي تتبني على العناصر الإقناعية وتُدخل العناصر التخيلية في خدمتها، هذا وقد لاحظ محمد العمري في مواضع أخر بأن نهضة البلاغة كانت حديثاً منصبة على استرجاع البعد المفقود في تجاذب بين المجال الأدبي حيث يهيمن التخيل، و المجال الفلسفي المنطقي و اللساني، حيث يهيمن التداول، و ذلك بعد أن ننظر في الثقافة الغربية ...»<sup>1</sup>.

وكما سبق و أن عرض البحث اهتمام «جابر عصفور» بدراسة التراث النقدي، بواسطة مناهج نقدية معاصرة، وهذا مثلما وضح البحث أيضاً بالنسبة لهذا الكتاب في مقدمة البحث يبرز الأمر أكثر خلال هذه المقارنة التي أجراها «جابر» بين رؤية «حازم» لحسية الشعر ورؤية «ت، هيوم» (Hulme T.E) يقول جابر عصفور: «وما يقوله حازم عن حسية الشعر يمكن أن نجد له مثيلاً في النقد الحديث، ورغم خطورة المقارنة بين ناقد قديم و ناقد جديد، و رغم إغفال مثل هذه المقارنة لكثير من عناصر الاختلاف والتمايز، فإننا يمكن أن نجد تشابهاً ملحوظاً بين مفهوم «ت، هيوم» عن طبيعة اللغة الشعرية، ومفهوم حازم على النحو الذي عرضناه»<sup>2</sup>.

إن «هيوم» يرى بأن الشعر ليس لغة تجريد، ولكنه لغة بصرية محسوسة تجسد دائماً الإحساسات وتسعى دائماً إلى عرقلة المتلقي وجعله يرى باستمرار شيئاً فيزيقياً، لتمنعه من الانزلاق إلى عملية التجريد التي تؤدي إليها لغة النثر...<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - نصيرة علاك، الشفاهي والكتابي في الخطاب النقدي عند جابر عصفور، ص73.

<sup>2</sup> - جابر عصفور، الصور الفنية، ص305.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص305.

تتشابه هذه النظرة، فيما يتصل بالطبيعة الحسية للغة الشعر، مع نظرة حازم إلى طبيعة اللغة الشعرية، إذ أن الأساس الحسي الذي يُلح عليه «هيوم» موجود بوضوح عند حازم، مع اختلافات بينه وبين الناقلين (...)"فهيوم" يربط اللغة الشعرية بالحدس، ويجعلها جانبا من تصور خاص للشعر، يقوم على أساس فلسفة «برجسون».<sup>1</sup>

يَعز «جابر عصفور» هذا الاختلاف إلى اختلاف المهاد النظري و الإطار الحضاري لكل منهما.

### 6. ارتباط التقديم الحسي بمفهوم المحاكاة.

كحوصلة للفصل يتحدث جابر عصفور عن ارتباط التقديم الحسي بمفهوم المحاكاة يقول: «مما سبق نرى أن مفهوم النقاد العرب للطبيعة الحسية للتصوير، يمكن أن يرتبط بنظرية المحاكاة في أكثر أشكالها سلبية، إن الإلحاح على الربط بين الجوانب الحسية للتصوير والقدرة على نقل جزئيات العالم الخارجي، وإعادة تمثيل مشاهدته في ذهن المتلقي، يردنا إلى المبادئ العامة لنظرية المحاكاة بمفهومها الساذج، الذي جعل الفن بعامة، والأدب بخاصة «نقلا» أو نسخا «للطبيعة الخارجية».<sup>2</sup>

وفي هذا القول إشارة إلى أن أغلب استنتاجات البلاغيين والنقاد القدامى نبعت من هذا المفهوم.

فيقول: «نبعت المقارنة بين الشعر و الرسم من هذا التصور العام للمحاكاة (...). و من الطبيعي أن تؤدي هذه المقارنة إلى التأكيد على الخصائص البصرية والوضوح في التصوير (...). و أن تتجاهل الإحساسات المتنوعة التي تتداخل و تتشارك في تشكيل مادة التصوير الشعري»<sup>3</sup>

1 - أنظر المصدر السابق، ص305.

2- المصدر نفسه، ص307.

3- أنظر المصدر نفسه، ص307.

«تصادفنا عند بعض النقاد و البلاغيين إشارات إلى أنماط الإحساسات المختلفة، التي تتداخل في تشكيل الجوانب الحسية من الصورة و هذا يوهم بأن مفهوم التصور الشعري عندهم يتعدى الجوانب البصرية إلى الشمية، السمعية و الذوقية و اللمسية و لكن هذه الإشارات لا تتجاوز حدود الحديث عن التشبيه»<sup>1</sup>

وفي هذا الصدد يقول جابر عصفور: «إن التصوير الشعري يقوم على أساس حسي معين، ولا مفر من التسليم بذلك طالما كانت مدركات الحس هي المادة الخام التي بها يبني الشاعر تجاربه، و كل أثر رائع من أثار الفن فيما يقال ليس إلا تعبيراً بلغة حسية عن معنى رفيع...»<sup>2</sup>

الدراسات السيكلوجية لأنماط الصور حديثة نسبياً (1822م-1911م) في إنجلترا، قبل ذلك (...). كانت النظرة إلى طبيعة الخيال الشعري منحصرة في النمط البصري وحده.<sup>3</sup>

أما بالنسبة للتراث العربي، فقد كانت المعارف السيكلوجية التي تدعم نظرتة إلى الجوانب الحسية للتصوير، معارف أرسطية أساساً (...). انتهى بهم ذلك إلى حاسة البصر هي أشرف الحواس.<sup>4</sup>

أعطى جابر عصفور في نهاية الفصل أمثلة عن عدة أقوال تُلح على شرف الحاسة البصرية، و ذلك من «رسائل إخوان الصفا» ولاشك أن مثل هذه النظرة إلى الخيال تدعم المفهوم السائد عن الجوانب الحسية للتصوير الشعري، مما أدى في نهاية الأمر إلى النظر إلى عملية التخييل الشعري نفسها، على أنها عملية تقديم صورة بصرية أساساً...»<sup>5</sup>

و بعد هذه النظرة السريعة الموجزة في الفصل الرابع من كتاب الصورة الفنية، ينتقل البحث إلى الأنموذج الثاني و هو كتاب نظريات معاصرة .

<sup>1</sup>- جابر عصفور، الصورة الفنية، ص 308.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص 309.

<sup>3</sup>- أنظر المصدر نفسه، ص 311.

<sup>4</sup>- أنظر المصدر نفسه، ص 311.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص 312.

بما أن "جابر عصفور" هو ناقد يحاول المزوجة بين التراث البلاغي و النقدي القديم وبين المناهج النقدية المعاصرة، فهو لا يكف عن المراجعة و المساءلة في كل منهما، مراجعة و مساءلة التراث من حيث الهوية، الوجود، الخصوصية، ومراجعة للنظرية، الرؤى والنقد، إنه نقد النقد الذي يميز كتابه «نظريات معاصرة».

### الأنموذج الثاني: كتاب نظريات معاصرة.

#### 1. قراءة في المقدمة:

يفتح جابر عصفور مقدمة كتابه بالسمة الحاسمة التي تكشف عن أهم ما يتميز به النقد الأدبي المعاصر، و هي أنه نقد لا يكف عن مساءلة ذاته في فعل مساءلة موضوعية و لا تتناقص حدة وعيه بحضوره النوعي بل تتزايد يوماً بعد يوم و ذلك لما يقوم به هذا النقد من مراجعة مستمرة لمفاهيمه و تصوراته و أدواته وتطويراً لتقنياته، و هذا ما نتج عنه كثرة ما نقرأه من خطاب النقد عن النقد، من منطلق المساءلة الذاتية التي يتحول النقد بها إلى نقد للنقد أو نقد شارح.<sup>1</sup>

وفي صدد ذكر «النقد الشارح» فقد أثر جابر عصفور مصطلح اللغة الشارحة بدل اللغة الواصفة لترجمة المصطلح (le métalangage)، و يبدو انه استعاره من عند زكي نجيب محمود في كتابه «موقف من الميتافيزيقية»<sup>2</sup>

و يربط جابر عصفور هذا الوعي الذاتي بالتقدم المذهل لعصر ما بعد الصناعة و دليل ذلك في التراكم الاستثنائي للمعلومات و الخبرات و التجارب في حقول النقد الأدبي والتعاقب المتسارع لمدارسه و مذاهبه و مناهجه التي لا تكف عن التغيير...»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- أنظر جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، د ت، ص9.

<sup>2</sup>- رشيدة غنام، اللغة الواصفة في نقد عبد المالك مرتاض، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو الجزائر، 2011، 2012، ص49.

<sup>3</sup>- جابر عصفور، نظريات معاصرة، ص9.

و يصف جابر عصفور في مقدمة كتابه كثرة المناهج و المعارف و التجارب بالتراكم ويقول : «و يتسع أفق هذا التراكم تصاعد درجات التبادل و تزايد علاقات التفاعل ما بين النقد الأدبي و غيره من حقول المعرفة المغايرة سواء في الدراسات الإنسانية أو الاجتماعية أو العلوم الطبيعية ... »<sup>1</sup>

يرى جابر عصفور أن انفتاح العالم و تحوله إلى قرية صغيرة، انتهى بدخول إبداعات العالم الثالث و ثقافته إلى دائرة الضوء العالمي، وبذلك أخذ المشهد يضم أقطار الشرق إلى الغرب و يصل ما بين القارات و القوميات و النتيجة تزايد معدلات التراكم المعرفي للنقد الأدبي في العالم الذي تعددت مراكزه النقدية و تنوعت.<sup>2</sup>

هذا الكلام يوحي للبحث أن جابر عصفور يرى بأن الانفتاح على الثقافات الغربية خاصة، المناهج النقدية و تبادل المعارف، يفتح أفق الإبداع الذاتي، و ربما هذه نقطة من النقاط التي جعلته يطبق هذه المناهج على التراث العربي يقول: «و أهم ما يترتب على هذا الوضع، هو انفتاح أفق الإبداع الذاتي بما لا يمايز بين نقد و نقد إلا الإنجاز الكيفي... »<sup>3</sup>

ويدور الحديث في المقدمة تقريبا حول نفس المواضيع، الانفتاح العالمي، التبادل المعرفي، الذي يؤدي إلى ارتفاع درجة الوعي الذاتي، بممارسة النقد الأدبي خاصة في العالم الثالث.

و ينتقل البحث للحديث عن محتوى الكتاب:

هذا الكتاب «نظريات معاصرة» يحوي عدة مواضيع في شكل عنوان رئيسي، تتدرج تحته عدة عناوين فرعية، وهي عناوين غاية في الأهمية، أول عنوان (نظرية التعبير) ثم (البنوية التوليدية)(البنوية والشعرية) وأخيرا (وعي النظرية)(الوعي الضدي).

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص 10.

<sup>2</sup>- أنظر المصدر نفسه، ص 13، 14.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 14.

يتناول الكتاب في سياق النقد أو النقد الشارح، هذه المواضيع من منطلق الجانب الذي يتصل بالنظريات المؤثرة في ثقافتنا الأدبية و النقدية، وذلك بتحليلها تحليلًا يضع في حسابه أن يوصل هذه النظريات بين لحظة تولدها و أفاقها المستقبلية، معالجًا لها في تعاقب تاريخي مقصود في تتابع فصول الكتاب .

و في هذا الصدد يقول «حسن خضر»:

«و يتقدم الكتاب من الفرضية الأساسية السابقة إلى مراجعة نظريات النقد الغربية الحديثة ولا يفضل تبسيطها نظريًا و تقديمها للقارئ أيضًا، و يوائم الكتاب بين نوعين من الخطاب النقضي للمركزية الأوروبية القديمة، أو مركزية العولمة الجديدة، و هذان الخطابان يسعيان في رأيه إلى تعرية هاتين المركزيتين، وهما، خطاب محلي خطاب التابع الذي تمرد على أوضاع تبعيته و إتباعه (...). واخذ في تأصيل فعل إبداعه الذاتي الذي يجاوز به مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية، ويستبدل بواقع التخلف أفق التقدم و الخطاب الثاني خارجي يتمثل في الطليعة من مفكري العالم الأول، الذين لا يكفون من وجهة نظر الكاتب عن مساءلة القيم المهيمنة السائدة في ثقافتهم، و قد أثر هذان الخطابان في خلخلة تلك المركزية عبر ممارستها النقضية لثوبتها و مسلماتها»<sup>1</sup>

يعالج الكتاب النظريات ذات الأثر في ثقافتنا الأدبية و النقدية .

## 2. نظرية التعبير:

ويبدأ الناقد جابر عصفور بنظرية التعبير.

يقول: «كلما استمعت إلى الطلاب الذين هم حديثوا عهد بالدراسة الأدبية في الجامعة، أو استمعت إلى الأوصاف الاصطلاحية التي لا يزال يستخدمها المنشغلون بالنقد في الصحافة

<sup>1</sup>- حسن خضر: حول كتاب جابر عصفور، نقد النظرية، من سيرة الوعي إلى مراجعة الذات، الحياة الدولية، مجلة الوسط، الحياة السعودية، 1989.09.19.

(...) تأكد في تفكيري أهمية الدور الذي لعبته نظرية التعبير في ميراثنا النقدي القريب والدور الذي لا تزال تلعبه في واقع ممارستنا النقدية المعاصرة»<sup>1</sup>

و يسترسل الناقد في الحديث عن خصائص هذه النظرية و صفا و تحليلا، حيث يبرز أهمية هذه النظرية في إبراز شخصية الفنان، و كيف تبلورت هذه النظرية مع شعراء الرومانتيكية الأوروبية في دفاعهم عن ذات الفرد التي أُغفلت من قبل الفلاسفة و المبدعون أمدا طويلا.

و في نقض نظرية التعبير يقول حسن خضر : «يتتبع الكتاب في نقضه لنظرية التعبير جذورها» لدى «ويليام وردزورث» الذي اعتبر الشعر فيضا تلقائيا لمشاعر قوية، وعند "جان جاك روسو" الذي كان ممهدا قويا للحركة الرومانسية بفهمه للفن على أنه فيض للانفعالات و المشاعر لا مجرد وصف أو نسج للعالم كما افترض الكلاسيكيون الجدد، تلك الجذور الفنية لنظرية جديدة تعلي من شأن الوجدان و الانفعال، في التجربة الإبداعية و التي اكتملت بجهود علماء الجمال الذين استطاعوا التعبير عنها و تمثيلها في مواجهة نظرية المحاكاة التي دافع عنها الكلاسيكيون الجدد في القرن الثامن عشر»<sup>2</sup>

التعبير بهذا المعنى فعل يتوسل به المبدع للإفصاح عن ما تموج به نفسه، وما يعبر عنه الفنان بفعل التعبير هو ما يعثر عليه في ذاته من انفعالات (...) لذلك اهتم (كولردج) بالانفعال العميق و جعله أساس التفكير العميق (...)، كما ميز (برجسيون) بين نوعين من الانفعال يُحدث أعمقهما هزة في روح الإنسان...»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - جابر عصفور، نظريات معاصرة، ص23.

<sup>2</sup> - حسن، خضر، حول كتاب جابر عصفور، نقد النظرية، من سيرة الوعي إلى مراجعة الذات.

<sup>3</sup> - جابر عصفور، نظريات معاصرة، ص34.

«ولم يكن من قبيل المصادفة أن يربط « بينيديتو كروتشه Benedetto Croce » بين الانفعال و الحدس و التعبير ويصل بينهما وصلاً عميقاً وثيقاً، وذلك لأنه آمن أن الانفعال هو الذي يَهَبُ الحدس وحدته و تماسكه»<sup>1</sup>

وما جعل جابر عصفور يرى انه ليس من قبيل المصادفة ربط كروتشه لهذه العوامل الثلاث معاً هو أن «مساءلة النظرية تدفع إلى مراجعة مسائل نظرية أخرى في ظل رؤية نظرية التعبير السابقة للفن من قبيل دور "الوعي" في عملية الإبداع، وما الفارق بين الوصف و الانفعال و التحليل (...). يرى جابر عصفور أن التمييز بين الوصف باعتباره أداة العقل وظاهري العمل و بين التعبير باعتباره قرين الحدس وباطن العمل، هو ما فرض بروز معضلة الأداة في الأدبيات النقدية لنظرية التعبير (...). هذه المعضلة التي واجهها النقاد والمبدعين "عجز اللغة عن التعبير عن انفعال المبدع"، هذه النظرية جعلت المبدع شخصاً مميزاً أثناء ممارسته لفعل الإبداع لذلك يمنح بعض الحرية في عدم الخضوع للمواصفات والقواعد... وهذا تناقض إذ عليه أن يعبر بلغة ذات صفات مشتركة لها طابع عام و قوانين ومواصفات»<sup>2</sup>

لن يُفصل البحث في كل ما تقدم به جابر عصفور حول هذه النظرية في هذا الكتاب ذلك أن البحث سيكتفي بإعطاء بعض المقطعات حول المواضيع التي ذكرت في هذا الكتاب من أجل محاولة إسقاط ما جاء في النظري على هذه المواضيع، و إظهار أسلوب ومنهج الناقد.

### 3. البنيوية التوليدية.

أما الموضوع الثاني في هذا الكتاب، هو عن البنيوية التوليدية يقول صلاح فضل : «أما جابر عصفور فقد انتقل من الماركسية إلى البنيوية بحيوية بالغة، فاهتم أولاً بالجانب التوليدي عند جولدمان، ووجد فيه حلقة الوصل الوثيقة بين التيارين، ثم إشتراك مع "عزالدين

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص34.

<sup>2</sup>- أنظر حسن خضر، حول كتاب جابر عصفور، نقد النظرية، من سيرة الوعي إلى مراجعة الذات.

إسماعيل" و كاتب هذه السطور في إطلاق مجلة فصول رافعة لولاء الحداثة النقدية منذ 1980 في أدق المراحل الثقافية المفصلية، ولم يلبث أن وجد في الترجمة أولا وفي الكتابة النظرية ثانيا سبيلا إلى التعمق في المناحي العديدة للفكر البنيوي...»<sup>1</sup>

يقول جابر عصفور : «البنيوية التوليدية هي الصياغة العربية التي استرحت إليها في ترجمة المصطلح الفرنسي الأصل (structuralisme génétique) الذي يشير إلى المنهج الذي صاغه الفيلسوف و الناقد الأدبي الفرنسي الجنسية الروماني الأصل لوسيا نولدمان، Lucien Goldmann (1913-1970) وهو المنهج الذي يتناول النص الأدبي بوصفه بنية إبداعية متولدة عن بنية اجتماعية، وذلك من منطلق التسليم بأن كل أنواع الإبداع الثقافي تجسيد لرؤى عالم متولدة عن وضع اجتماعي محدد لطبقة أو مجموعة اجتماعية بعينها»<sup>2</sup>

ولأن جابر عصفور يهتم أولا و أخيرا بوجود هذه الأفكار في الثقافة العربية أو النقد العربي، و بكيفية العمل بها و محاولة الاستفادة منها .

يرى جابر عصفور أن فكرة التولد أو التوليد كانت تتردد وذلك مع استقبال العرب لأفكار 'جولدمان'، دليل ذلك ظهورها في مؤلفات عربية، مثل مؤلف صلاح فضل 'منهج الواقعية في الإبداع الأدبي' فقد خص الفصل الثالث من مؤلفه للحديث عن انتقال المنهج الواقعي من السياق الأدبي إلى السياق الاجتماعي، عارضا أفكار 'جولدمان' الأساسية فكشف بذلك عن بنائية التوالد في اجتماعية الأدب.<sup>3</sup>

ويولي الكتاب في مراجعته للبنيوية بمدارسها المختلفة، أهمية لتجارب البدايات عربيا والتي أخذ الإشكال الاصطلاحي تعريفيا جزءا من رؤاها تعريفية الطابع آنذاك، حيث سبق «محمود أمين» العالم إلى الهيكلية في تقديمه البنيوية التشكيلية (...). و كان المقال نقدا مبكرا للبنيوية

<sup>1</sup> - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص199، 200.

<sup>2</sup> - جابر عصفور: نظريات معاصرة، ص83.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص84.

الشكلية (...). ويشير الكتاب إلى البداية المتأخرة للنبوية عربياً، حيث سعدت هنا بعد انهيارها في موطنها.<sup>1</sup>

يقول صلاح فضل عن اهتمامات جابر عصفور بالنبوية و ما بعدها: «و كان جهده الدؤوب في تحقيقه الأفكار و صياغة المصطلحات و تبيئة المنطلقات أساسيا في هذه المرحلة» "يقصد صلاح فضل بهذه المرحلة لواء الحداثة النقدية منذ إطلاقه مجلة الفصول (1980)", لكنه لم يلبث أن انطلق وبطاقاته التنظيرية و التطبيقية كي يستوعب مراحل بعد النبوية وستل منها نكاء التفكير و دهاء القراءة وقوة التأويل (...)<sup>2</sup> ويورد صلاح فضل دليلا على هذا من كتاب جابر عصفور، عصر النبوية إذ يقول جابر عصفور أن النبوية فرضت نفسها على الفكر العربي المعاصر و أصبح لها خصومها و أنصارها و أثارها في مختلف مجالات العلوم الإنسانية، لكن و رغم حماس أنصارها و خصومها في الوطن العربي و رغم كثرة ما كتب عنها وترجم، فليس هناك كتاب شامل يعرض للنبوية منذ انطلاقها في منتصف الخمسينيات في فرنسا إلى انهيارها في موطنها نفسه مطلع السبعينيات.<sup>3</sup>

#### 4. النبوية والشعرية.

وفي إطار تناوله للموضوع الثالث النبوية والشعرية، يتحدث جابر عصفور و تحت عنوان «ذكريات نبوية» عن الفرصة التي أتاحت له لمطالعة كتب (داستن كاول، Dastan qaule) حيث استفاد من مكتبته في رحلة من رحلاته، ويقول كانت هذه المكتبة تحوي عددا من الكتب بادئة بكتاب «فريدريك جيمسون Fredric Jameson» «عن "سجن اللغة"، ومنتوية بكتاب «جوناثان كوللر Jonathan Kohler» الشهير عن (شعرية النبوية) و لم يخل الجزء القليل الخاص بالأدب العربي من إثارة، فقد كان يشمل أعداد و دوريات التي نُشرت قراءات نبوية، بالإنجليزية عن الشعر العربي القديم (...). و ظهرت دراسة «تطبيق

<sup>1</sup> - حسن خضر حول كتاب جابر عصفور نقد النظرية من سيرة الوعي إلى مراجعة الذات.

<sup>2</sup> - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص200.

<sup>3</sup> - أنظر نفسه، ص201.

النظرية الشفاهية للشعر» (لتوماس مونرو) و «النظم الشفاهي للشعر الجاهلي» (...) و كانت أولى المحاولات العربية «لكمال أبو ديب» التي نُشر قسمها الأول سنة 1975 في الدورية العالمية لدراسات الشرق الأوسط عن معلقة «لبيد»، بعنوان نحو تحليل بنيوي للشعر الجاهلي ونشر القسم الثاني سنة 1976 في دورية «أبيات» عن الرؤية الشهوية في معلقة «امرئ القيس» «بنيته ومعناها» و كانت هذه بداية التحول الجذري (...) إلى القراءة النقدية المعاصرة التي فتحت الباب على مصراعيه لدراسة الأدب العربي الحديث و المعاصر.<sup>1</sup>

و تحت عنوان «فتة البنيوية» يقول جابر عصفور: «كانت البنيوية مبعوث العناية اللغوية الذي حمل بشارة العهد الآتي إلى العلوم الإنسانية و منها النقد الأدبي، دالاً إياها على طريق الهداية المنهجية و الجنة الموعودة للدراسة العلمية التي تؤسس النقد الأدبي بوصفه، علماً من العلوم الإنسانية المنضبطة»<sup>2</sup>

## 5. وعي النظرية.

أما فيما يخص عنوان «وعي النظرية» و تحت العنوان الفرعي، وعي النقد الأدبي بنفسه يقول جابر عصفور: « لعل أول ما يلحظه المتتبع للنقد الأدبي الحديث على مستوى الحضور الذاتي لهذا النقد، أنه ينطوي على درجة عالية من الوعي بالذات، و انه في الوقت الذي يؤكد الحضور المستقل للأعمال الأدبية، في حال تناوله لها يؤكد الحضور المستقل لنفسه بوصفه مؤسسة أو بنية علائقية من الممارسات الخاصة، أو مجالاً معرفياً متميزاً بذاته وفي ذاته، هذا الوعي الذاتي يتجلى في مظاهر كثيرة أولها الكتابات الوفيرة التي تتناول تاريخ النقد الأدبي بوصفه نشاطاً متميزاً، وثانيها الكتابات التي تحاول تصنيف حاضر النقد الأدبي من حيث مذاهبه و مدارس و تياراته المختلفة...»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أنظر، جابر عصفور نظريات معاصرة، ص 193، 194، 195.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 207.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 267.

«و يمكن أن نلمح في الكتاب مراجعة للذات النقدية خصوصا في الجزء الذي يقترب فيه المؤلف للبنىوية العربية، وما يخصه مرجعيا منها في البنوية التوليدية لدى جولدمان وإطاره المرجعي في ذلك التحليل التأويلي و المساءلة القيمية تأسيسا على الوعي النقدي للعقل الذي يضع نفسه قبل غيره موضع المساءلة، ولا يتردد في مقاومة ما تحتوي عليه النظرية من دعاوي إيديولوجية، وهو في تحقيق تلك الغاية،<sup>1</sup> لا ينفصل عن أهداف المجتمع المدني العربي المشحون بتناقضاته وتحولاته، انه عقل مدفوع بحلم دائم في الانتقال بهذا الواقع من ذهنية الإلتباع إلى ذهنية الابتداع بوصفه عقلا يواجه كل أنواع الأصولية، ويضع نفسه موضع المناقضة للنظريات التي تغترب بالنقد عن واقعه، أو تغترب بالواقع عن وعيه النقدي».<sup>2</sup>

يقول صلاح فضل عن ما جاء به جابر عصفور عن البنوية في كتاب «عصر البنوية»: «ثم يأخذ في تعداد المستويات البنوية من النموذج التصوري إلى الحركة الفكرية الاجتماعية منتهيا إلى أنها قد أدت إلى إنتاج وعي مستقل يجعل منها نوعا من الإيديولوجية و مع أن جابر عصفور كان حريصا دائما بهذه الطريقة على التباعد النسبي، وإنكار تناهيه التام مع تيارات البنوية و ما بعدها، لغلبة الحس التاريخي عليه و قوة الموقف النقدي له فإنه لم يرى فيها سوى إيديولوجيا جديدة تزامم القديمة، لكن ذلك لم يحل بينه و بين الاستثمار الخلاق لكل معطياتها و التجاوز الدائم لها، لأن استراتيجيته في الكتابة النقدية ظلت مرتبطة دائما بوظيفة هامة هي اتخاذ الفكر الأدبي منطلقا لتحقيق رسالة التقدم والتنوير و تحديث العقل و المجتمع، و هي الوظيفة التي لا تتسق مع طبيعة الشكلانية و تنحو إلى تفجيرها و اختراق عالمها النصي المحدود».<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - حسن خضر، حول كتاب جابر عصفور، نقد النظرية من سيرة الوعي إلى مراجعة الذات.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

<sup>3</sup> - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 200، 201.

## 6. الوعي الضدي.

تحدث جابر عصفور عن الوعي الضدي بالنظرية من منظور النقد المدني، بأنه ليس إنكاراً لوجودها أو إنكاراً لضرورة الإلحاح عليها، وإنما تأكيد لمخاطر النظرية حين تزعم أنها تغطي كل جوانب موضوعها، وتستوعب كل أبعاد الموقف الذي تنبثق منه.

و في الوقت نفسه فإن انعزال المنهج و النسق عن الممارسة الحية، وذلك بتجاهل المجتمع و العالم الذي ينتجها هذا الوضع تتحول به النظرية إلى خطاب منغلق على نفسه يُحدّد سلفاً ما يقوم بمناقشته.<sup>1</sup>

وفي هذا الصدد يقول جابر عصفور :

«هكذا انطلق "إدوارد سعيد" في محاولة أصيلة لمجاوزة أربعة أشكال سائدة من النقد هي النقد التطبيقي الذي يأخذ شكل المتابعة و المراجعة في الصحافة الأدبية، و التاريخ الأدبي الأكاديمي المنحدر من تخصصات القرن التاسع عشر، و التفسيرات الأدبية التي لا تنحصر في المؤسسات الجامعية، و أخيراً النظرية الأدبية التي لا تتطوي على معنى الحضور في العالم، يقول جابر عصفور بان إدوارد سعيد حاول بهذا صياغة وضع نقدي جديد نظراً وممارسة إيماناً بأن النصوص الأدبية النقدية تنتمي إلى العالم، فهي أحداث تقع فيه كما أنها جزء من العالم الاجتماعي و الحياة الإنسانية، وكذلك هي لحظات تاريخية تقع أو تفسر في هذه النصوص.»<sup>2</sup>

ويواصل عصفور قائلاً: «هذا الوعي النقدي أخص خصائصه أنه متحيز في مكان، وهو وعي شاك مدني متوتر ما بين الثقافة و النسق مفتوح على إمكان فشله بما يضعه إزاء نفسه دائماً، موضع المساءلة...»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أنظر جابر عصفور، نظريات المعاصرة، ص345.

<sup>2</sup> - أنظر المصدر نفسه، ص 346.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص347.

و انطلاقاً من التغيير الذي رآه «كريجر» يقول جابر عصفور «أن المدافع الحقيقي عن أهمية النظرية يجب أن يبدأ من الاعتراف بمحدودية ما يعد به، وأنه ما من نظرية يمكن أن تتسم بالكمال، أو تزعم القدرة على تفسير كل جوانب التباين في التجارب الأدبية، و سبب ذلك على حد تقديره أن دعوى العمومية التي تتضمنها النظرية تصطدم عادة بالوقائع المتمردة العنيدة التي لم تخلق لكي تطيع نسقا بعينه، يضاف إلى ذلك أنه ما من نظرية تستطيع أن تستنفذ كل المعاني و القيم الكامنة حتى في عمل أدبي واحد، فالعمل الأدبي لا يكف عن إدهاشنا بما لا نتوقعه منه وإلا كف عن كونه أدبيا. <sup>1</sup>»

ويجد البحث رأياً عند 'عبد الملك مرتاض' مشابهاً لهذا الطرح، إذ صرح هو بدوره عن هذا السبيل الذي يتبعه قائلاً: «و ما تراه من جهد "بذلنا" مُضن في هذه الفصول ليس إلا محاولة لإثارة الأسئلة و تحفيز القلق المعرفي والحمل على المساءلة، أكثر من الطمع في الإجابة والتطلع إلى القول الفصل، والاعتدال بالرأي... فلم يكن قط الجواب في قلق المعرفة، فصلاً للخطاب، في حين أن المساءلة هي استفزاز معرفي يحمل على الاستزادة من القراءة والتفكير...»<sup>2</sup>

هذه رؤية مستحدثة تميز بها النقد الحديث من النقد القديم، فقد تجاوز نظرة الاستحسان أو الاستهجان إلى اعتماد الناقد على مبدأ مساءلة الذات قبل مساءلة النصوص، و بهذا أصبح الخطاب النقدي على درجة الوعي له خصائصه و إجراءاته، هذا الصنيع يسعى إلى طلب المزيد من المعرفة، و البحث الدائم عن الحقيقة لأن الحقيقة في مجال العلوم الإنسانية نسبية.

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص309،310.

<sup>2</sup>- رشيدة غانم: اللغة الواصفة في نقد «عبد الملك مرتاض»، ص48.

## الفصل الثاني: التجربة النظرية عند جابر عصفور.

## تمهيد:

يصعب الحديث عن هذه التجربة لدى هذا الناقد الفذّ، نظراً لغنى هذه التجربة وثنائها وامتدادها الشاسع فهي تتسم بالتعدد المعرفي الجامع بين أصالة التراث وعمقه، وحدائث المعرفة الوافدة والمتطورة باستمرار.

لذلك سيحاول البحث أن يقتصر على إثارة بعض القضايا الجزئية وذكر بعض النماذج من مؤلفاته، دون الخوض في التفاصيل التي تستحق دراسات مستقلة، لأن الخوض بصفة عامة في تجربة يمثل هذا الحجم سيكون مغامرة حقيقية ومستحيلة الاستيعاب في بحث واحد. يعترف «جابر عصفور» بانتمائه إلى مدرسة طه حسين النقدية شأنه في ذلك شأن الكثير من النقاد الذين تلووا طه حسين وانتهجوا منهجه.

يقول جابر عصفور: «أعترف أنني تلميذ صغير في مدرسة طه حسين، التي لا يخلو واحد من المنتسبين إليها من غواية التراث الأدبي التي اقتحمته ولازمته، فانغوا بهذا التراث قراءة ودرساً، شرحاً وتأويلاً، تعميماً وتخصيصاً، ولكني بقدر ما تعلمت من طه حسين وتأثرت به تعلمت من تلاميذه الذين تتلمذت عليهم بشكل مباشر أو غير مباشر، ابتداءً من شوقي ضيف ويوسف خليف، وعبد العزيز الأهواني ومحمد النويهي، مروراً بمصطفى ناصف ولطفي عبد البديع وعبد الحميد يونس وانتهاءً بصلاح عبد الصبور، وفاروق خورشيد وعز الدين إسماعيل».<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - جابر عصفور: غواية التراث، وزارة الإعلام، مجلة العربي، ط1، 2005، ص6.

## 1- اهتمامه بالتراث:

إن أكثر ما يلفت الانتباه في مشروع جابر عصفور النقدي، اهتمامه بالتراث ويظهر ذلك جلياً من خلال مؤلفاته، «غواية التراث»، «الصورة الفنية» و «قراءة التراث النقدي» وغيرها. يقول في مقدمة كتابه «قراءة التراث النقدي»: «منذ سنوات طويلة وأنا منشغل بعملية قراءة التراث النقدي، بوصفها عملية لها أهميتها في ذاتها، وبوصفها عملية صغرى مرتبطة بعملية كبرى، هي قراءة التراث بوجه عام، وبقدر ما كنت أدرك أن الإلحاح على قراءة التراث هو الوجه الآخر من الإلحاح على قراءة الواقع، أو الحاضر، فقد كنت أزداد اقتناعاً أنه لا توجد قراءة بريئة أو محايدة للتراث».<sup>1</sup>

ويقول في «غواية التراث»: «أغواني طه حسين - ولا يزال - بقراءة التراث الأدبي من منظور الزمن الذي أعيش فيه، والذي يتجاوب مع الأصيل من التراث لأنه ينطوي على القيمة الإنسانية التي تصلنا به وتصله بنا، وقد تعلمنا من طه حسين أن القصيدة الأصلية تغوص في عصرها، وتلامس الجذر الإنساني فيه، فنلامس الجذر الإنساني في أعماقنا مهما تباعدت المسافات الزمنية والمكانية بيننا وبينها».<sup>2</sup>

من خلال ما سبق يتجلى للبحث أن «جابر عصفور» يعكف على دراسة التراث بمنظور حدائي، بل و يعجب ويشجع من ينتهج هذه القراءة.

يقول: «ولا أزال أجد متعة خاصة في قراءة «مصطفى ناصف» للشعر القديم بعامة والجاهلي خاصة، وأرى أكثر تلامذة طه حسين تحديداً لآليات القراءة وتقنياتها، ولذلك تمتعني حدوسه النقدية المضيئة، وتعجبي قدراته التأويلية».<sup>3</sup>

يقول أيضاً: «وقد كان صلاح عبد الصبور، أصغر التلاميذ الذين أغواهم طه حسين بمحبة الشعر القديم، فوقع في الغواية التي دفعته إلى كتابة «قراءة جديدة لشعرنا القديم».<sup>4</sup>

1 - جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، مؤسسة عيال للدراسة والنشر، ط1، 1991، ص5.

2 - جابر عصفور: غواية التراث، ص5.

3 - المرجع نفسه، ص6.

4 - المرجع نفسه، ص7.

لا ينكر « جابر عصفور » جهود "أدونيس" في إعادة قراءة التراث الأدبي شعرا، ونثرا ويعترف أيضا بغوايته له، بفتنة حدوسه وتأويلاته.

يقول في ذلك: «...أحسبني لا أزال أقرب إلى طه حسين، ولكن في مجلى أكثر مغايرة وأكثر تأثرا بمنتجات العصر الثقافية ومتغيراته المعرفية المتراكمة، ومن ثمة أكثر اتساقا مع روح طه حسين المنهجية التي تُؤثر الحرية على القيد، وتدعوا إلى استغلال الدرس الأدبي بموضوعه ومنهجه ولكن بما لا يجعلني نقيضا لأدونيس، أو مخالفا جذريا لمنظوره الحدائي الذي لا يزال يغويني بفتنة حدوسه وتأويلاته، ولذلك أجمع ما بينه وطه حسين، وأخصص لكليهما مكانا عزيزا في عقلي ووجداني، غواية الحب الأول الذي أكسبني إياه طه حسين وغواية النظرة المحدثة التي تعلمها جيلي من أدونيس».<sup>1</sup>

ويقول: "شرف الدين ما جدولين" عن كتاب غواية التراث: «الكتاب وسيلة نقدية لمراجعة قيم القراءة نفسها، وتعيين مفاهيم التأويل والتحليل وفق ما يشترطه النسق الفكري المعاصر ومكوناته النظرية والجمالية، كما اعتبره استنكارا لدرس أثيل في الخطاب النقدي الحديث وبوصفه تشخيصا لملح ثابت في شخصية مؤلفه» جابر عصفور» ينطوي على القصد الجدلي بما هو اختبار لقدرة التوافق بين خطى التنوير والحداثة، الأول بوضع عقلانيته وليبراليته الثقافية ورفع القداسة عن النصوص، والثاني في رهانه على مطلق الإبداع وإنصاته للهامشي والمقموع في الذاكرة التراثية».<sup>2</sup>

ويقول شرف الدين أيضا: « أن جابر عصفور كان في قراءته تلك واعيا بالواقع الجمالي لموضوعه، وقوته التأثيرية، مما جعل مسعاه المركزي يتمثل في الكشف عن «الأثر العجائبي» لمبدأ الغواية، الذي أشاد به في عنوان كتابه، وذلك برصد وقائع تحول النصوص من متون أدبية ذات وجود تاريخي إلى عوالم دلالية مسكونة بالأسطورة تلفها محكيات تباعد بينها وبين وجودها الأصلي».<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 11.

<sup>2</sup> - شرف الدين ماجدولين: قراءات في مشاريع جابر عصفور النقدية، صحيفة الوسط البحرينية، ع3009، 2010.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه.

لعل هذا الجمال يتجسد في شعر وشعراء المعلقات، التي قيل أنها سبع وقيل أنها تسع ولكن يضل العدد سبع قرين النموذج الأصلي للشاعر والأقرب إلى الأبعاد الأسطورية، وهو كعدد السماوات والأرضين، ومرات الطواف على الكعبة، وهو نفسه عدد الستائر التي كانت تحجب الشاعر «الحارث بن حلزة»، وهو ينشد قصيدته المعلقة في حضرة الملك «عمر بن المنذر» والتي مطلعها:

أَدْنَتْنا بَيْنَها أَسْمَاءُ \* \* \* رَبِّ تَأْوِ يُمْلُ مِنْهُ الثَّوَاءُ.

ولم يكن إظهار الجانب الجمالي أو إعادة استكشاف ما تتطوي عليه المتون من معنى ولا حتى الخوض في القضايا التاريخية الخلافية هو المقصود فحسب، فالغرض هو إظهار ما حُفي في تلك النصوص من قيمة إنسانية.<sup>1</sup>

«ولعل مذهب الكاتب إلى تنويع اقتراحاته القرائية، والجمع بينها ضمن كتاب واحد مخصص للشعر الجاهلي هو ما يجعل هذا الإصدار يندرج ضمن عموم الأدبيات التتويرية للكاتب... «أنوار العقل» و«الاحتفاء بالقيمة» حيث ليس المقصود هو التعريف بالمضامين الجمالية فحسب، ولا إعادة استكشاف ما تتطوي عليه المتون من معنى، ولا حتى الخوض في القضايا التاريخية الخلافية، فالغرض هو الاحتفاء بما تمثله تلك الظواهر والنصوص من قيمة إنسانية».<sup>2</sup>

يقول أيضا في غواية التراث له، ومحاولة دراسته بمنظور حدائثي معاصر: «ولقد حاولت أن أنظر إلى التراث من خلال فهم معاصر للصورة الفنية ولا شك أن ذلك الفهم كان يوجه اختياري للمشاكل أو لطريقة العرض، كما كان يعينني على اتخاذ موقف نقدي مما أعرض ولكنني في نفس الوقت كنت مدركا للمزلق التي تؤدي إليها النظريات المعاصرة إذا طبقت تطبيقا عشوائيا على مادة قديمة، أو إذا تحمس لها الباحث حماساً مفرطاً، ولهذا وضعت دائما في اعتباري أنني أتعامل مع تراث له ظروفه وطبيعته الخاصة، أبحث عن جوانب

<sup>1</sup> - أنظر، جابر عصفور، غواية التراث، ص32.

<sup>2</sup> - شرف الدين ماجدولين، قراءات في مشاريع جابر عصفور النقدية.

الأصالة فيه كما أبحث عن جوانب الزيف ويؤرقني البحث عن العلل والأسباب التي أدت إلى هذا أو تلك».<sup>1</sup>

## 2. تحديث التراث: أمثلة دراسات وكتب.

لا يستطيع البحث الإمام بكل ما جاء به الناقد «جابر عصفور» في دراسته للتراث، ذلك لأن لجابر دراسات واسعة ومتنوعة في هذا الموضوع، ومنها ما جاء في مقالة «العبد العزيز المقالح» بعنوان «جابر عصفور وتحديث التراث» يقول فيها: «من المؤكد أن الكاتب لا يستطيع بالمعاصرة وحدها أن يقيم تجربة نقدية عربية ذات أهمية، وتأثير في الوجدان العربي دون أن يكون على إمام واسع بالمرورث وإنجازاته وخصائصه، كما لا يستطيع الكاتب بالمرورث النقدي العربي وحده أن يكون ناقدًا معاصرًا وقادرًا على أن يؤسس لخطاب نقدي يتناول القيم الجمالية والروحية وفق معطيات العصر وشروطه المتطورة، ما لم يكن على إمام واسع بما أضافه العصر من تجليات إبداعية ونقدية ومناهج واتجاهات».<sup>2</sup>

ويقول أيضا: «هذا ما أدركه - منذ وقت مبكر - الدكتور جابر عصفور، لذلك فقد عكف في البداية دارسا وباحثا في المعطيات النقدية العربية القديمة، أنساقها ونظرياتها وتابع بعمق بالغ من خلال كتابه (مفهوم الشعر، دراسة في الموروث النقدي) عددا من نقاد الشعر العربي القديم وجهودهم في وضع أسس النقد الأدبي العربي وصلة نقدهم بمورث الآخر كما يتجلى عند أفلاطون وأرسطو وغيرهما من فلاسفة العالم القديم، وتركزت دراسته العميقة عند ثلاث من النقاد القدماء هم (ابن طباطبا وقدامة بن جعفر وحازم القرطاجني)، ودور هؤلاء في تشكيل مفهوم الشعر، ماهيته وخصائصه وصياغته ومهمته وأوزانه... إلخ».<sup>3</sup>

يقول جابر عصفور: «ويمكن أن نضيف إلى النقد النظري مجالا مهما يرتبط بالمقدمات التي صدر بها بعض الشعراء دواوينهم، ومنها مقدمة «ابن خفاجة» لديوانه، ومقدمة أبي

<sup>1</sup> - جابر عصفور: الصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، دت، دط، ص 11-12.

<sup>2</sup> - عبد العزيز المقالح: جابر عصفور وتحديث الخطاب النقدي، المجلة الثقافية، العدد 177، 2006.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه.

العلاء" لسقط الزند واللاميات، وإلى جانب هذه المقدمات تصورات عن الشعر نظمها الشعراء في دواوينهم وذلك مجال مهم لم يُسلط عليه الدرس الحديث بعد».<sup>1</sup>

ويقول: «إذا أضفنا الكتابات ذات الطابع التعليمي التجميعي، وشروح الشعر متعددة الاتجاهات والأنواع، ازداد إدراكنا لحقيقة ثراء تراثنا النقدي في الشعر، بل ازداد إدراكنا لحقيقة مؤداها أن هذا التراث لم تكشف كل جوانبه بعد».<sup>2</sup>

ويقول: «تبدو خطورة التأريخ للتراث النقدي، إن التأريخ يعد عملاً بلا جدوى في غياب الاستقصاء الدقيق للمعطيات التاريخية وفي غياب المنهج المتكامل في المعالجة».<sup>3</sup>

وفي هذا الصدد لم يتوقف جهد جابر عصفور عند معالجة الموروث النقدي عند (ابن طباطبا، وقدامة وحازم)، بل تجاوز ذلك لاستقراء الجوانب الفنية والبلاغية عند العرب ويظهر ذلك في كتابه «الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب».

يقول عبد العزيز المقالح عن كتاب الصورة الفنية: «...تواصل ذلك الجهد في استقراء الجوانب الفنية والبلاغية واستنهاض الخصوصية العربية في نسج هذه المعطيات في كتابه الأهم «الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب» لتكتمل به صورة النقد العربي القديم، وانجازاته النظرية والتطبيقية وما حققت من تطور وتأصيل، لا سيما عند عبد القاهر الجرجاني، الذي امتدت ظلالة الموضوعية والفنية إلى العصر الحديث».<sup>4</sup>

ويقول أيضاً عن كتاب «المرايا المتجاوزة»: «وبذلك الجهد المصحوب بالفهم الموضوعي للظروف والمؤثرات الزمنية اقترب «الدكتور جابر عصفور» من مشارف العصر الحديث ليتوقف عند أهم معلم في تحديث النقد العربي من خلال كتابه «المرايا المتجاوزة، دراسة في نقد طه حسين» وفي هذا الكتاب تتبع دقيق وكشف واف وتقص شامل لدور هذا الرائد

1 - جابر عصفور: مفهوم الشعر دراسة في الموروث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط5، 1985، ص6.

2 - المرجع نفسه، ص7.

3 - المرجع نفسه، ص7.

4 - عبد العزيز المقالح: جابر عصفور وتحديث الخطاب النقدي.

المعاصر وتكوينه ...، كتاب المرايا المتجاوزة يظل فريدا في بنائه وفي لغته وأسلوبه وفي طريقة رصده لإنجازات أحد أهم أعلام النهضة الأدبية...»<sup>1</sup>.

يقول جابر عصفور: «يحاول هذا البحث التعرف على طبيعة الفكر النقدي عند طه حسين (1889-1973)، وذلك من خلال اكتشاف الصيغة التكوينية التي يبني بها هذا التكوين ويقدر ما يسعى هذا البحث إلى اكتشاف الخصائص النوعية لهذا الفكر، فإنه يحرص على أن يتعامل معه بوصفه وحدة متكاملة لا ينفصل فيها نظر عن تطبيق، ولا يتم التركيز فيها على جانب دون آخر، بل يتوجه البحث صوب كل اتجاه، ويتقصى كل مجال ويتدبر كل تغير...»<sup>2</sup>.

### 3. لغة الخطاب النقدي عند جابر عصفور.

اهتم جابر عصفور باللغة في الخطاب النقدي، محاولاً إضفاء جمالية التعبير على هذا الخطاب مبتعداً عن اللغة العلمية الجافة.

يقول المقالح: «هكذا ومنذ عنوان الكتاب وهو «المرايا المتجاوزة» وحتى آخر سطر فيه يسعى الدكتور «جابر عصفور» ليؤسس تطبيقاتاً لخطاب نقدي حديث، يقوم على جماليات اللغة الأدبية من دون أن يفقد النقد موضوعيته أو قدرته على التحليل العلمي، وليكتسب خصوصيته وغناه من اتساع المعطيات الثقافية التي أفاد منها الناقد...، ثم استيعابه لأهم طروحات الجديد من المدارس والمناهج النقدية وهو ما تشهد عليه أيضاً كتاباته النقدية وترجماته التي أضافت جديداً يفتح على تساؤلات زمنية ومكانية، مختلفة يتولد عنها تثاقف أدبي ونقدي يحرر لغة النقد من الركاكة والتقليد»<sup>3</sup>.

يرى البحث أن اهتمام جابر عصفور باللغة وجمالية التعبير في النقد الأدبي، إنما ناتج عن كونه مبدع بالدرجة الأولى عدا عنه أكاديمي أو مجرد ناقد يبحث عن ثغرات في هذا الكتاب أو ذاك الإبداع.

<sup>1</sup> - المرجع السابق.

<sup>2</sup> - جابر عصفور، المرايا المتجاوزة، دراسة في نقد طه حسين، ص 7.

<sup>3</sup> - عبد العزيز المقالح: جابر عصفور وتحديث الخطاب النقدي.

وفي هذا تقول «فاطمة ناعوت»: «ثمة منطلقان ينتهج الباحث أحدهما في مقارنته للثقافة الأدبية...، الأول ينطلق من الوعي بالأهمية الثقافية والأكاديمية للناقد الأدبي، ودوره التاريخي في تعديل مسار الحراك الأدبي بإعمال أدوات التشريح الفني المحصلة من الدرس والتحصيل الأكاديمي، والثاني ينطلق بالإضافة إلى ما سبق، من محبة حقيقية للأدب بوصفه القيمة المقابلة لقبح الواقع وفرشاة في يد المبدع يتحايل بها على الرمادي المحايد الناجم عن منطقية الحياة ورتابتها، الناقد من هذا النمط الأخير هو في زعمي مبدع صامت أحب الإبداع إلى الحد الذي دفعه إلى توسيع مخروط رؤيته إلى الأرحب».<sup>1</sup>

تواصل «فاطمة ناعوت» قائلة: «نكتشف هذا الأمر بسهولة في كتاب «جابر عصفور» «في محبة الأدب»...، لنرصد أن كل كتابة فكرية قام بها على مدار مسيرته النقدية المكثفة حتى تلك التي تناولت قضايا غير أدبية، ظاهريا مثل السياسة والاجتماع والثقافة وحتى الدين إنما انطلقت بانشغاله بالهم الأدبي واشتبكت بشكل أو بآخر مع قصة الأدب وقضايا الدفاع عن الاستتارة والتحديث لأنها كُتبت بقلم ناقد لم يتوقف عن محبة الأدب كقارئ أو كناقد أو كمفكر أو أخيرا كمبدع صامت».<sup>2</sup>

هذا الكتاب «في محبة الأدب» سلك فيه «جابر» نهجا مشابها لنهج طه حسين، في كتاب «حديث الأربعاء» من حيث طريقة الحوار داخل النص، فيخلق جابر «أنا» مضادة ليخلق محاورا مخالفا للرأي، وذلك لتوضيح القضية وإبرازها.

تقول «فاطمة ناعوت»: «...يلعب «جابر» لعبة العصف الذهني الأثيني، حيث يستحضر «أنا» أخرى مقابلة أو موازية فيخلق لنا محاورا مشاكسا، على نهج طه حسين، في كتاب «حديث الأربعاء» ليجد معه حوارا خلافيا لا يخلو من طرافة ومكر لعرض الفكرة والفكرة المضادة، في جدلية فكرية تستنفر ذهن المتلقي لاستعراض القضية وتشريحها من زاويتي الأنا والآخر، يقدم في حوار الأول رأيه في حتمية وجود «الردىء الأدبي» لنرصد

<sup>1</sup> - فاطمة ناعوت: جابر عصفور يعتنق النقد، مجلة الحوار المتمدن، العدد 885، 2004.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

الجميل بل وينادي بأهمية دراسة هذا الرديء نقدياً وفلسفياً، وهي الدراسة الأصعب...، كقيمة مستقلة وغير مستندة إلا على ذاتها، إستراتيجية البحث هنا تعكس الدارج والمألوف إذ تقوم على دراسة السائب وصولاً إلى الموجب...»<sup>1</sup>.

كما يتحدث أيضاً "عبد الفتاح الحجمري"، عن اهتمام جابر عصفور بالأدب كأديب ومبدع فيقول: «...الذخيرة النقدية «لجابر عصفور» تتأمل قيمة الأدب بوصفه حقيقة إنسانية، كما تدعو إلى عدم إغفال قيمة النقد بوصفه خطاباً موجهاً نحو فهم تلك الحقيقة والكشف عن طبيعة الأشكال المميزة لها، بهذا المعنى تتخذ تحليلاته من أبعاد النص الذاتية والجمالية والفنية سبيلاً لملامسة قضايا الكتابة واللغة والمتخيل...»<sup>2</sup>.

#### 4. هموم الرواية.

وليس بعيداً عن هذين المفهومين، الأدب واللغة نجد مفهوماً قريباً إن لم نقل ملازماً لهما إنه مفهوم البلاغة، ففي كل مقال سواء في جريدة أو مجلة يصادف البحث حديثاً عن «بلاغة المقموعين» مما أصاب البحث حماساً ليعرف، ماذا قصد «جابر» ببلاغة المقموعين في كتابه «أوراق ثقافية»؟

تقول «عفاف عبد المعطي»: «ينبغي قبل مناقشة مفهوم جابر عصفور لبلاغة المقموعين أن نعرف البلاغة وأنواعها فالبلاغة مرتبطة بالإبلاغ ولا تعني الإتيان بما يحقق الإجماع أو بما لا يعرفه الناس، وتأثيرها لا ينصرف إلى المعاني، فالمعاني موجودة لمن يريد التفتيح عنها، يعرفها العربي والأعجمي، إنما تكمن جماليات البلاغة في السبك والصياغة أي في الكيفية التي تصاغ بها الفكرة»<sup>3</sup>.

هذه هي البلاغة بالمعنى الذي صاغه الجاحظ، والذي يعرفه المثقف والدارس، فماذا قصد

جابر ببلاغة المقموعين؟

<sup>1</sup> - المرجع السابق.

<sup>2</sup> - عبد الفتاح الحجمري: قراءات في مشاريع جابر عصفور النقدية، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 3009، 2010.

<sup>3</sup> - عفاف عبد المعطي، كتب جديدة لجابر عصفور، مجلة نزوى سلطنة عمان، العدد 36، 2009.

تقول «عفاف عبد المعطي»: «على حين يرى «جابر عصفور» تجلي دلالة البلاغة في صفات الكلام لا المتكلم، فمادام أثرها يلتبس بمعنى الصياغة من حيث الإضافة، ومعنى التوصيل من حيث التقريب، فلا يجوز أن تطلق على الكلام من حيث ما يضيفه على المعنى السابق عليها، فالمهم هي دلالة نفي البلاغة عن الفاعل لفعالها، وهو المتكلم وصرف الدلالة من الفاعل إلى الفعل ذاته أو المفعول الذي يلازمه أو يتعدى به، وتلك دلالة ترتبط بالمقصد الذي وصل بين البلاغة والإقناع، وجعلها ترتبط بالجدل السياسي»<sup>1</sup>.

«بلاغة المقموعين» تسير بالبحث إلى هموم الرواية العربية، وإلى القيود التي تحيط بالرواية والمسرح العربي والمتمثلة في كل أشكال القمع المفروضة على كل أنواع الإبداع بصفة عامة.

من بين هذه الروايات التي تناولها «جابر» بالدرس، رواية: «يوسف القعيد» «لبن العصفور».

تقول «عفاف عبد المعطي»: «...صنفها جابر عصفور» ضمن مشروع «القعيد» الروائي، الذي نهض منذ نشأته على الإيمان بحق الفقراء المهمشين في الحياة، بما في ذلك مأساة تشيبي الإنسان وتحوله، تحت وطأة الفقر والقهر إلى سلعة تباع وتشتري، وتحتل المقايضة، وهي مأساة تلح على الوعي الروائي «ليوسف القعيد» لأنها تؤدي إلى تدمير معنى وجود الإنسان والوطن والأرض والأسرة، وقد دلل «جابر» على هذه الفكرة الواضحة في أدب «يوسف القعيد» بنصوص أخرى «للقعيد» تؤكد عمق وكثرة قراءة «جابر» لهذه النصوص من ناحية ورسوخ مبادئ الكتابة والتأكيد عليها في إبداع «القعيد» من ناحية أخرى، فمسألة البيع والشراء والاستبدال البشري موجودة أيضا في رواية «الحرب في بر مصر» «ليوسف القعيد»، حيث الأب الفلاح الأجير يبيع ابنه»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عفاف عبد المعطي، كتب جديدة لجابر عصفور.  
<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

وأفرد «جابر عصفور» في كتاب «أوراق ثقافية» جانبا كبيرا للحديث عن ألف ليلة وليلة بطبعاتها المختلفة وحكاياتها المتباينة، وقد أطلق جابر عصفور، العنان في كتابه «إبداع على إبداع اليالي» بما يؤكد سطوة ليالي ألف ليلة وليلة على القراءة في كل زمان ومكان، نظرا لوضعها في سياقها التراثي الخاص، وعلى الرغم من الطروحات الفكرية المهمة التي قدمها «جابر عصفور» في كتابه «أوراق ثقافية» والتي هي جزء من رؤيته التنويرية العامة في السياسة والفكر، إلا أنني أتصور أن هناك مكسبا حقيقيا في هذا الكتاب يتجسد في كتابات «جابر» حول الرواية.<sup>1</sup>

كذلك ظهرت رؤية جابر عصفور النقدية لرواية «علاء الديب» «قمر على مستنقع» ولأن جابر عصفور من المهتمين بقضايا المرأة في الكتابة، قدم دراسة حول نص، «أهداف سوبف» بعنوان «زينة الحياة» أما كتابه الموسوم «مواجهة الإرهاب» فقد تحدث فيه بجرأة كبيرة عن الوضع الثقافي العربي من المثقف التقليدي إلى المتطرف الديني، متناولا نصوصا روائية عربية، مثل «الزلال» للكاتب الجزائري «الطاهر وطار» منمنمات تاريخية «لسعد الله ونوس» وروايات أخرى، ثم أبرز رؤيته النقدية لظاهرة التطرف والقمع التي تواجهها، السينما والمسرح والرواية لعربية.<sup>2</sup>

تقول «عفاف عبد المعطي»: «الأمر نفسه ينطبق على مسرحية «سعد الله ونوس» «منمنمات تاريخية» التي تتخذ منطوقات المنمنمات التاريخية فيها طابعا بنائيا وظيفيا يجعلها أقرب إلى «الاستعارة بالكناية» حسب المصطلح البلاغي القديم، وتشير المسرحية إلى ثلاث أبعاد للزمن بعد الزمن التاريخي للماضي الذي تنقشه المنمنمات وتختزل به ستة أشهر، على وجه التقريب من الزمن الماضي، الذي يبدأ من شهر محرم وينتهي في حكم الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله والسلطان ناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن برقوق...، تولى الحكم سنة 801هـ بعد وفاة أبيه السلطان برقوق، وما تزال أيامه تذكر

<sup>1</sup> - عفاف عبد المعطي، كتب جديدة لجابر عصفور.

<sup>2</sup> - أنظر نفسه.

بالفتن والغلاء والوباء، وطرق بلاد الشام فيها «تيمور لنك» فخريها وحرقتها وعمها بالقتل...حتى تمزق أهلها في جميع البلاد، تلتقط مسرحية «سعد الدين ونوس»، من هذا الوصف العام التفاصيل الصغيرة التي تتمم بها البناء المسرحي ما بين ثلاث رؤى للعالم الحديث المهزوم».<sup>1</sup>

«رصد جابر عصفور صور إنجازات الرواية العربية منذ أن نشر «الطاهر وطار» روايته «الزلال» في عام 1974، عندما ظهرت صورة شخصية الشيخ المتعصب، ووجد تصاعد العنف الفعلي لعمليات الإرهاب الناتجة عن التطرف و التعصب في حياتنا العربية الممتدة من المحيط إلى الخليج».<sup>2</sup>

كما أن القمع العام دفع بالرواية العربية إلى الاحتجاج عليه والكتابة ضده، وذلك على نحو غدت معه الكتابة الروائية عن القمع ملمحا بارزا من ملامح وجودها المعاصر، ويذكر على سبيل المثال روايات «الكرنك» لنجيب محفوظ «والعسكري الأسود» ليوسف إدريس...، وغيرها من النماذج التي تدل على وعي الأجيال الأحداث، من كتاب الرواية بالكتابة المضادة لعنف الأجهزة القمعية للدولة».<sup>3</sup>

والقمع الممارس على الخطاب الروائي، من طرف الأنظمة السياسية على اختلاف تياراتها، أصبح سمة ملاحظة بوضوح على الساحة الأدبية والنقدية في العالم العربي والزمن المعاصر، ولم يهتم جابر عصفور بدراسة الرواية ومعالجتها أو محاولة إزاحة الضغوط الممارسة ضدها فقط بل اهتم بتاريخها أيضا.

يقول في مقال له بعنوان «فجر الرواية»: «لابد للمهتمين بتاريخ الرواية العربية في القرن التاسع عشر من أمثالي، من أن يتوجهوا بالشكر إلى الصديق «شريل داغر» على أنه أعاد نشر الطبعة الأولى من رواية خليل الخوري: «أي إذن لست بإفرنجي»، وتحقيقها تحقيقا يدعو إلى الإعجاب، لكنها لم تدفعني إلى التوقف عندها...، ولذلك فرحت باكتشاف رواية

1 - أنظر عفاف عبد المعطي، كتب جديدة لجابر عصفور.

2- المرجع نفسه.

3- أنظر المرجع نفسه.

«غاية الحق» ورأيت فيها البداية الفنية الأولى للرواية العربية، وأعدت نشرها وكتبت عنها من هذا المنطلق...»<sup>1</sup>.

«لكن القضية الأساسية ليست الفن في هذا السياق بقدر ما هي القيمة التاريخية، ومن هذا المنظور نفسه، أبدأ بمراجعة ما انتهيت إليه سابقاً من أن رواية "فرنسيس فتح الله" المراس» هي الرواية العربية الأولى، وظني أن الحكم على رواية «أي أنا لست بإفرنجي» بأنها الرواية العربية الأولى يستحق معاودة النظر...»<sup>2</sup>.

ولا يستطيع البحث التطرق إلى كل ما تناوله «جابر عصفور» عن الرواية ذلك أن الناقد «جابر» عندما يتناول موضوعاً بالمعالجة والدرس يحرص على الإلمام بكل جوانبه، وعلى الغوص في أعماقه بعيداً، ليصل إلى نقاط دقيقة وحساسة ومهمة جداً، يحتاج كل جزء منها إلى بحث منفرد.

#### 5. الشعر مفهومه وقضاياها:

ويرى البحث أنه ينتقل لموضوع آخر لا يقل أهمية عند «جابر عصفور» عن موضوع الرواية، كما أنه ركيزة من ركائز الساحة الأدبية والنقدية وهو الشعر، أحب جابر الشعر في بداية شبابه وبدا ذلك جلياً في مسيرته النقدية، كما بين ذلك البحث في أوراق سابقة في الحديث عن لغة الخطاب النقدي، عند جابر عصفور.

يقول عبد العزيز المقالح: «...أما جابر عصفور فقد بدأ كتابة الشعر وهو طالب في الثانوية وأنجز عدداً من القصائد الجيدة، وعندما التحق بالجامعة ابتعد عن هذا الفن الجميل...، واكتفى بالكتابة عن الشعر وعن بقية الفنون القولية بلغة فيها من أثر الشعر رهافته وعضوبته الكثير، وهو ما يجذب القارئ ويبعث في نفسه حالة من الانتشاء»<sup>3</sup>.

وفي هذا الموضوع أي الشعر، ألف جابر عصفور العديد من الكتب منها محبة الشعر مفهوم الشعر، وغيرها.

<sup>1</sup> - أنظر جابر عصفور: فجر الرواية العربية، جريدة الحياة، لندن 2011/03/30.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

<sup>3</sup> - عبد العزيز المقالح: جابر عصفور وتحديث الخطاب النقدي.

يقول «سالم الفائدة» عن كتاب «مفهوم الشعر» في مقال بعنوان «مفهوم الشعر - حفريات في الذاكرة والتراث النقدي-»: «أعتبر أن دراسة جابر عصفور من بين أكثر الدراسات عمقا ونضجا ووعيا في النقد الأدبي العربي الحديث، نظرا لما تميزت به من شمولية وإحاطة ودقة ووضوح، وتجاوز للنظرة التقليدية لهذا التراث وقضاياها، كما وقف الكاتب على المرحلة التاريخية التي صدر فيها الكتاب باعتبارها مرحلة موسومة في الثقافة العربية، مرحلة الثورة على القيم والتقاليد والأفكار التقليدية لصالح وعي جديد وثوري، يتناول التراث بعين المستقبل لا بعين الاستفادة والتكرار، المرحلة التي احتدم فيها الصراع بين المدافعين عن الحداثة الشعرية الجديدة وبين المتمسكين بتلابيب الفهم التقليدي للشعر وقضاياها».<sup>1</sup>

يفهم من هذا المقال كيف أن جابر عصفور وقف إلى جانب الثقافة التتبيرية، التي ترفض أن يركن التراث على جنب، ولا يُرى فيه إلا مجرد مفاهيم وقيم مقدسة لا يجب أن تمس، بل ثقافة تحثي بقيمة هذه النصوص تدعو إلى النظرة الواعية لاستكشاف ما تتطوي عليه هذه المتون من المعاني والقيم الإنسانية.

يقول جابر عصفور: «ولذلك يقوم هذا الكتاب على ثلاث دراسات أساسية تدور حول موضوع واحد هو مفهوم الشعر، من خلال ثلاث كتب هي: «عيار الشعر» لابن طباطبا العلوي (322هـ)، «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (337هـ) و «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» لحازم القرطاجني (684هـ)، واختياري هذه الكتب الثلاثة نابع من إيماني بأنها تمثل محاولات أصيلة لتحديد الأصول النظرية لمفهوم الشعر».<sup>2</sup>

«وهي ليست كتبا منغلقة لا تتجاوب مع المحاولات السابقة عليها، أو المعاصرة لها بل العكس تحاور المحاولات السابقة والمعاصرة فتفيد منها بقدر ما تضيف إليها وتتجاوز في إضافتها وطموحها كل محاولات التأصيل التي نعرفها، فهي من هذه الناحية وثائق دقيقة للمفاهيم المتكاملة وصورة لمحاولات فريدة ضاع الكثير منها ولم يبق سوى هذه الكتب

<sup>1</sup> - سالم الفائدة: مفهوم الشعر، حفريات في ذاكرة التراث، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 3009، 2010.

<sup>2</sup> - جابر عصفور، مفهوم الشعر، دراسة في الموروث النقدي، ص10.

الثلاثة التي لا ينهض إلى جانبها، فيما وصلنا من التراث محاولات أخرى مشابهة لها في الهدف أو مساوية لها في الإنجاز».<sup>1</sup>

ثم راح «جابر عصفور» يُفصل في دراسة كل واحد من هؤلاء النقاد القدامى، فبيّن كيف حاول ابن طباطبا العلوي أن يؤسس «عياراً» للشعر يرتبط بتصورات محددة عن المهمة والماهية والأداء، وكيف حاول مساعدة الشاعر المحدث في عصره -طبعاً- وكذلك حاول مساعدة المتذوق على إدراك الأصول النظرية لمفهوم الشعر، وبيّن كذلك أن قدامة بن جعفر طوّر محاولة ابن طباطبا فأخذ على عاتقه مهمة جليلة، مؤداها تأصيل «علم يميز جيد الشعر من رديئة على مستوى الفهم والتذوق والحكم».<sup>2</sup>

أما حازم القرطاجني فقد واكب جهده النقدي وعيه الحاد، بأنه يعيش في مرحلة تخلف متعددة الأبعاد، على مستويات الإبداع والنقد والفكر والسلطة والسياسة في آن واحد، وكان وعيه بانهييار الأندلس موطنه يواكب وعيه بانهييار الشعر، كما أنه واكب زمن يعادي العقل ويشك في الفلسفة.<sup>3</sup>

ولجابر عصفور كتب أخرى عن الشعر من بينها كتابه «في محبة الشعر» الذي هو دليل آخر على اهتمامه بكل جوانب الساحة النقدية، وللاقتراب من هذا الكتاب يحاول البحث إيراد بعض المعلومات عنه:

صدر في جريدة الرواية مقال عن كتاب «محبة الشعر» مفاده: «...صدر حديثاً للناقد الكبير جابر عصفور كتابه الجديد «في محبة الشعر» عن الدار المصرية اللبنانية ومن خلاله يحاول عصفور جاهداً أن يعيد التوازن إلى السياق الثقافي بين الشعر والرواية بعد ما ركب الكثيرون صيحته النقدية زمن الرواية وحاولوا إعلاء فن على فن، وتناسوا الجهود النقدية الجبارة التي بذلها عصفور في نقد الشعر وتقديسه والحماسة له، وتقديم شعرائه

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 11.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 11.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 12.

أمثال «صلاح عبد الصبور» و«أحمد عبد المعطي حجازي» ومن أتى بعدهم من جيل السبعينات، وحتى شعراء قصيدة النثر».<sup>1</sup>

ثم يتناول المقال تقسيم جابر عصفور للكتاب:

«ينقسم كتاب عصفور إلى ثلاث أقسام، القسم الأول عن زمن البعث والإحياء في الشعر والثاني عن زمن الستينات، والثالث ما بعد الستينات، ويتناول أعلامه الكبار، أمثال البارودي وشوقي، وصلاح جاهين، وبدر شاكر السياب، وممدوح عدوان، وعفيفي مطر، كما يتوقف عصفور أمام قصيدة النثر والتي يرى أنها أثبتت حضوراً قوياً رغم عنف المقاومة التي تواجهها، وهي في رأيه تطور طبيعي لحركات التجديد لدى كبار الشعراء والذين عرفوا هذه القصيدة عبر أعلامها الكبار في الثقافة الفرنسية مثل «أدونيس» و«أنسي الحاج» و«محمد الماغوط» وغيرهم».<sup>2</sup>

ويقول «أسامة الرحيمي» عن هذا الكتاب: «وكتابه الأخير في محبة الشعر يكشف ملكته النقدية بجلاء، لمن يطالعه كاملاً».<sup>3</sup>

ويذكر «أسامة الرحيمي» ما قاله جابر عصفور في مقدمة الكتاب: «لم يكن من قبيل المصادفة أن تحتفي الحضارة العربية بالشعر دون غيره وتضعه في مقدمة فنونها، وتجعل منه ديوان العرب الذي يجمع مآثرها ومفاخرها، معارفها ومداركها، لأنها وصلت بين قدرة الشعر على تجسيد الذاكرة الإبداعية للأمة في ماضيها، وقدرته على الكشف عن وعود الزمن الآتي في مستقبلها، فكان الشعر علامة هذه الحضارة وهويتها الإبداعية...»<sup>4</sup>

«... خمس وثلاثون مقالة ضافية كتبها عبر سنوات، تناول فيها عصفور الشعر من أواخر القرن التاسع عشر زمن البعث والإحياء، ورمزه محمود سامي البارودي الذي استبدل: الميلاد بالموت والنماء بالذبول...، وعن شوقي خط سبع مقالات قال في آخرها: لا أظن أن قامة من قامات شعراء الإحياء قد وصلت إلى الذروة التي وصل إليها شعر «شوقي» الذي

1 - جريدة الرواية، في محبة الشعر كتاب جديد لجابر عصفور، 2009/10/27.

2 - المرجع نفسه.

3 - أسامة الرحيمي: جابر عصفور في محبة الشعر، الأهرام اليومي، 2014.

4 - المرجع نفسه.

يظل إنجاز الإبداعي أكثر تميزًا كمًّا وكيفًا...، وقال عن: «صلاح جاهين» ينبغي علينا أن نعتبره واحداً من أعلام الشعر الحر في مصر، ورافداً من أهم روافدها، ذلك أنه انتقل بالقصيدة العامية التي كانت مجرد زجل أو موال إلى قصيدة إبداعية بكل معاني الإبداع...، وأفاض في شرح أنشودة المطر للسياب، ودراسة محمد عفيفي مطر، وأمل دنقل، وممدوح عدوان، ودرويش، وحلمي سالم، وغيرهم بلغة واعية واحتراف العارفين...، وخصص لقصيدة النثر عدة مقالات وأخرى عن الكلام الرطيط، وشعر الصراصير، والقبح في الشعر وكذلك تحدث عن شعراء العمودي والتفعية...»<sup>1</sup>.

أولى الناقد جابر عصفور اهتماماً كبيراً بالشعر والشعراء دراسة وتكريماً، عندما عمل أميناً عاماً للمجلس الأعلى للثقافة، ونلمس هذا الاهتمام في إجابته على أحد الأسئلة: قال «جابر عصفور»: «لو اللجنة انتهت إلى هذا مع حضور «أدونيس» كان الأمر سيتغير وكانت مهمتي أن أقنع الوزير بمضاعفة قيمة الجائزة على أن تمنح للاثنتين، ولكن «درويش» حضر وحده واستقطب أصوات اللجنة»<sup>2</sup>.

وسئل أيضاً: كيف تحدد الشاعر الكبير فقال: «على أساس الإبداع، الشاعر الكبير هو الذي لا يتوقف عن الإبداع، ويتجدد دائماً، ويبحث عن وسائل تعبيرية جديدة ويفكر في خرائط وقارات إبداعية لم يطررها هو أو غيره من قبل، وأنا أظن أن هذا هو سر توهج «محمود درويش» الدائم، وقد حضرت له أمسية شعرية مؤخراً في أبو ظبي، وكان المسرح ممتلئاً عن بكرة أبيه، استمعت إليه، ولم تكن قصائده الجديدة مثل قصائده التي كتبها منذ عشر سنوات، فشعره يزداد تألقاً ووهجاً، وهذا ما يجعله شاعراً كبيراً»<sup>3</sup>.

ختم البحث الحديث عن موضوع الشعر عند «جابر عصفور»، بحديث لجابر عصفور مع أن الحديث عن هذا الفن عند هذا الناقد لا يمكن أن تسعه صفحات البحث كله.

<sup>1</sup> - المرجع السابق.

<sup>2</sup> - محمد شعير: جابر عصفور، مجلة أخبار الأدب، 22 أبريل 2007.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه.

## 6. بعض الانتقادات التي وجهت لمشاريع جابر عصفور.

تحدث البحث بإسهاب عن المشروع الحداثي لجابر عصفور وبعض رؤاه النقدية حول التراث الأدبي والنقدي العربي، وأورد بعض الأمثلة عن ذلك، من بعض مؤلفات جابر عصفور وبعض الآراء من نقاد تحدثوا بإعجاب عن هذه المشاريع والرؤى، فهل هناك معارضين لمشاريع جابر عصفور؟ هل هناك من يرى سلبيات في رؤاه النقدية؟.

يقول «مهتدي بندق»: «بصدر كتاب (أفاق العصر) يكون المشروع النقدي الحداثي لجابر عصفور قد وصل إلى النقطة الحرجة، التي عندها يتعين على الناقد والمفكر أن يأخذ بأسباب الاختيار مدركاً أن الاختيار في التصميم الأنطولوجي إشكالية حقيقية وفعل متلبس فهو إيجاد وإعدام في آن، هو إيجاد وإبداع للجديد المطلوب، وهو إعدام للبدائل المطروحة جميعها في الوقت نفسه، وأما على المستوى الإبستيمي فإن نقطة الاختيار الحرجة تتفرع وتتقسم وتتشكل وتتموج لاسيما حين يكون الاختيار هذا متعلقاً لا بفرد، بل بثقافة أمة تأويلاً لتاريخها، وإرشادا لسيل مستقبلها مما يقتضي التريث طلباً لمزيد من المعرفة».<sup>1</sup>

«... لقد أشرنا في دراسة سابقة إلى أن النظرية التي يؤسس لها «جابر» قادمة وفيها ريب وترجع الريبة تلك إلى الدينامية الهائلة التي يعمل بها عقل الناقد، فهو متابع دؤوب لمتغيرات الفكر على الساحة العالمية، تلك المتغيرات المتسارعة نتيجة انبثاق آلية التفكير عبر التخصصي في المجالات المعرفية، بفضل التماس والتداخل بين المناهج الفرعية للعلوم، في إطار وحدة المنهج العلمي العام، حتى لقد رأينا «جاك لا كان» يؤسس بنيوية في مجال الأدب عن إنجازات علم النفس الفرويدي...»<sup>2</sup>

يوصل «مهتدي بندق» قائلاً: «لناقدنا «جابر» إذن أن يتريث، وهو على مفترق الطرق بكل تنوعاتها وألوانها وتلاحمها المتسارعة المتفرعة، ليتابع بنظره لاهثاً حركة الإنتاج الفكري لموجة ما بعد الحداثة، تلك الموجة التي ارتدت في وجه الحداثة الغربية بعد إخفاق الأخيرة

<sup>1</sup> - أنظر مهتدي بندق، المشروع الحداثي لجابر عصفور إلى أين، مجلة الحوار المتمدن، العدد 2104، 2007.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

في السير بالحلم النهوضي والتموي إلى خاتمة المطاف، وهل ثمة خاتمة لمطاف وأي مطاف؟ هكذا تتساءل اتجاهات ما بعد الحداثة ناقضة مشروع الحداثة الغربي برمته»<sup>1</sup>.

إن كتابه «آفاق العصر» إنتاج مشترك ومفتوح يتحدث فيه عن ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة وهو بهذا الإنتاج إنما يثبت صحة القول بأن القراءة الحقيقية لا بد وأن تقود إلى الكتابة بالقدر الذي تكون فيه الكتابة دافعا لإعادة إنتاج "أي قراءة"...، فهل يا ترى أدركنا المراد الحقيقي لجابر عصفور الذي يطالبنا بإعادة قراءة «النص الاعترالي» لنعارض به «الخطاب الأشعري» القديم الجديد منتجين جاحظا وخياطا ونظاما وعبد جبارًا معاصرين...، يقترب التيار الحدائي الجديد من الماركسية بعد صبغها بصبغة ليبرالية (مدرسة فرانكفورت النقدية وعلى رأسها هريوت ماركيز ويوجين هابرماس)، في محاولة ثانية، الوجودية كانت المحاولة الأولى، لتحديث الديالكتيك وتطوير نظرية المادية التاريخية؟ ولأن بدايات جابر عصفور انطلقت من هذا النبع العقلاني المادي التاريخي، فإن اندفاعه الوجداني الرومنسي (فالسكوت عنه في كتابات جابر كونه شاعرا) يقابله إحجام خفي عن صياغة نظرية شاملة للثقافة العربية، طالما لم يحاور بعد هذا التيار التحديثي الجديد ويسبر غوره وينقده.<sup>2</sup>

### 7. آراء إيجابية لمشاريع جابر عصفور.

بعد هذا النقد الذي رأى سلبيات في مشاريع جابر عصفور، وكان ذلك انطلاقا من كتابه «آفاق العصر» يرى البحث أن يورد آراء أخرى في مشاريع جابر عصفور، والتي تبرز إيجابيات هذه المشاريع، انطلاقا من كتب لهذا الناقد.

يقول عبد الرحمان أبو عوف: انطلاقا من كتاب إضاءات، الذي رأى أنه عنوان دال وموحي، ووسم كتاباته النقدية والفكرية بأنها مضيئة، وتتسلح برؤية منهجية منيرة مستتيرة وملتزمة بعقلانية نقدية، ذلك أنها تتصدى للتقليد والأتباع والفكر الظلامي الغيبي، وتتحو نحو النسبية والتعدد والإبداع، أما عن أسلوب هذا الكتاب فيقول بأنه يقترب من مستوى وعي

<sup>1</sup> - مهتدي بندق، المشروع الحدائي لجابر عصفور إلى أين.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

جماهير القراء البسطاء، رغم وجهة الناقد الأكاديمية، لينقل لهم عبر قراءة نقدية جديدة وذكية، إبداعات وجهود تنويرية لمجموعة من المفكرين والكتّاب المصريين، تتناول النصوص بالعرض والتفسير والنقد والاستتطاق، والتأويل، لتكشف المسكوت عنه.<sup>1</sup>

«غير أنها قراءة تتسم بتخلق منهج نقدي له خصوصيته يعتمد التحليل البنائي الأسلوبي للنص مع التركيز على الأسلوبية بمنظور اجتماعي، وتحليل للخطاب اللغوي الاجتماعي أو اللهجات الجماعية في النص، على اعتبارها بنى اجتماعية بالماهية، تحمل خصائص اللحظة التاريخية التي تنتمي إليها فمن تحليل الأسلوب أو اللغة داخل النص تصل إلى الدراسة التركيبية الدلالية المتكاملة القادرة على كشف النص والمجتمع في نفس الوقت، وهو منهج قريب من المنهج الماركسي الجديد».<sup>2</sup>

إن أهم فصول الكتاب يتعلق بتفسير وتحليل جابر عصفور لأزمة إنجازات ومواقف محمد مندور، ولويس عوض، وكذلك زكي نجيب محمود، وغيرهما من الكتاب.

يقول «عبد الرحمان أبو عوف»: «...بالكتاب تحليلات ذكية مركزة خلاقة كإنجازات رواد التنوير في ثقافتنا، الطهطاوي، وعلي مبارك، وطه حسين والعقاد».<sup>3</sup>

ويقول أيضا «أبو عوف»: «أياً كان الأمر فهذا الكتاب المكثف والبسيط في نفس الوقت يكشف عن ثقافة وعمق بصيرة جابر عصفور النقدية المتسلحة باستيعاب أرقى ما في التراث النقدي والبلاغة العربية، بجانب استيعاب أحدث المناهج النقدية الأوربية المعاصرة غير أنه وهو الأهم يقدم خصوصيته المنهجية غير المستلهبة أمام كل من التراث، والآخر المعاصر الأوربي».<sup>4</sup>

وفي قراءة أخرى لأبو عوف في كتاب ثاني لجابر عصفور يقول:

<sup>1</sup> - أنظر عبد الرحمان أبو عوف: مراجعات في الأدب المصري المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1997، ص319.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ص319

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص323.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص324.

«الكتاب الطموح المركز دفاع عن التنوير للناقد البارز «جابر عصفور» استمرار واعي ومسئول لجهده الفكري التنويري والعقلاني النقدي، لمناقشة وتأسيس واستحضار أسس صلبة للإيمان بالعقل لا النقل، العلم لا الخرافة التقدم لا التخلف، حق الاختلاف لا الإجماع...»<sup>1</sup> ويقول أيضا «أما القسم الثاني»...، لموضوعاته الحيوية الخلاقة المستتيرة في مناقشة قضايا التسامح والتعصب والدعوة إلى الحوار...، هذا الكتاب دعوة لإعمال العقل في أسس وركائز حياتنا السياسية والاجتماعية والفكرية...»<sup>2</sup>.

ونظراً لإيمانه بالتنوع الثقافي والفكري، فإن جابر عصفور لم يتحدث فقط عن الرواية والشعر، فقد اهتم أيضاً بالحديث عن النظريات العالمية المعاصرة.

هذه الثقافة العصرية: «التي هي بكلمات «جابر عصفور» الثقافة التي تصنع حاضرها من منظور مستقبليها، ولا تفهم هذا الحاضر إلا بوصفه حركة مستمرة في التحول الخلاق الذي لا يكف عن صعود سلم التطور الذي لا نهاية له، فلا تتشغل هذه الثقافة من ماضيها إلا بما يدفع إلى مستقبلها، وتقيس كل ما في حاضرها بإسهامه في حركة التحول صوب المستقبل الذي لا حد لوعوده، ولا ترى في المستقبل سوى إمكانات من الإبداع الذاتي لا ينسخ غيره»<sup>3</sup>.

ولعل «جابر عصفور» بإيراده هذه الرؤية لحركة الزمن، يرسم كذلك صورة موازية لحركته الفكرية هو ضمن كتاباته المتنوعة التي تتميز بأنها - من وجهة نظره المستقبلية نفسها ومن واقع إضاءاته النقدية على الناتج الإبداعي العربي الجديد الذي يؤسس لتنوعيات إبداعية متنامية- هي كتابة لا تدعو إلى قطع الصلة مع تراثنا الفكري الثقافي، بل هي تدرس فعلا هذا التراث في حركته الصراعية الداخلية، ومع المحيط وتسلط الضوء على العناصر المستقبلية والعقلانية والمعرفية وغير التعصبية فيه، عبر حركتها الصراعية مع العناصر النقيضة في ذلك التراث نفسه...، حسب عودتك الجدلية هذه إلى الماضي لا تكون ماضوياً

<sup>1</sup> - المرجع السابق ص 327.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 329.

<sup>3</sup> - محمد دكروب، مقدمة عن التنوع الخلاق ومستقبل العالم، كتاب في جريدة، النهضة، جابر عصفور، حوار الحضارات والثقافات، العدد 101، ص 3.

تكون معاصرا مستقبليا وعقلانيا، من حيث ترهينك للعناصر العقلانية والمعرفية...، في حركة تدمج العناصر المستقبلية هذه لثقافة الماضي بالثقافة الراهنة، وتفعيل الرؤية العقلانية والنقدية لحركة الصراع داخل هذه الثقافة»<sup>1</sup>.

يقر «جابر عصفور» بالوضع غير المتكافئ بين عالما والعالم الغربي، ويرى أن ذلك لا يعني استحالة الحوار، بل يعني صعوبته التي يمكن أن يجاوزها الطرف الأضعف في هذا الوضع، شريطة أن يملك ما يمكن أن يعبر به اختلال العلاقة، أو يواجه به سلبيتها والخطوة الأولى في ذلك هي الإبداع الذاتي الذي يؤسس لتقدم الطرف الأضعف، ويدفع به إلى مجاوزة مظاهر ضعفه، والتخلص من العوائق التي تحول دون لحاقه بركب التقدم العالمي ويغدو قادرا على الحوار من موقع القوة لا الضعف، والشرط الثاني يقترن بالقدرة على النقد الذاتي وتعرية كل ما يعوق الحوار أو يحول دونه...»<sup>2</sup>.

هذا ويؤكد جابر على أهمية الحوار بين الحضارات، بين تيارات وقوى متشابهة أو متقاربة على الصعد الثقافية الفكرية،...بين شعوب عالما المعاصر.

«...وبالفعل فالصراع يدور على الصعيد الفكري الفلسفي الثقافي في زمننا هذا بين ثنائيات متعارضة من التيارات، الماضي والمستقبلي، الأصولي والمعرفي، والإبداعي والإتباعي»<sup>3</sup>.

وفي هذا الصدد ينتقد «جابر عصفور» النظرة الوحيدة البعد والوحيدة الجانب.  
«...فنحن طرف يعيش سياقاته وشروطه الخاصة التي تفرض نظرة أكثر تركيباً في تحديد الحاضر النوعي للزمن العربي- يقول جابر عصفور- نظرة تتطلق من واقع اللحظة التاريخية التي نعيشها، والتي تولد شروطها المائزة في الزمن الذي هو زمننا وزمن غيرنا في

<sup>1</sup> - المرجع السابق ص23.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص3.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص30.

الوقت نفسه، وليس زمننا وحدنا أو زمن غيرنا وحدهم، ويعني ذلك أننا نعيش الما قبل والما بعد ونقبل طرف واحد فحسب من ثنائية ما بعد وما قبل»<sup>1</sup>.

تبسيط معرفي وتاريخي لموقف أكثر تعقيدا من أن يختزل في اسر منطق أحادي البعد إما هذا أو ذاك، دون رؤية موضوعية إلى الواقع وممكناته الفعلية، هو نفسه عند أحاديي البعد والجانب، في الجانبين الأصولي وما بعد الحداثي، من هنا نرى نظرة «جابر» للمسار الضروري لتجاوز التخلف إلى التقدم، هي -إذن- نظرة تاريخية، ومادية وموضوعية معا، إنه النظر الشمولي، كما في النقد الأدبي عنده، كذلك في النقد الاجتماعي الفكري السياسي، فلا بد إذن من رؤية قضايا المستقبل والتصورات بشأنه، من جوانبها ومواصفاتها المتعددة ذلك أن الانحياز إلى أفكار ما بعد الحداثة، هو شيء مفهوم ولا بد منه بالنسبة لمختلف قوى التقدم والتغيير»<sup>2</sup>.

إن أنواع الثقافات الإنسانية تتفاعل وتتبادل فيما بينها، بفعل التأثير والتأثر وذلك في مختلف المجالات والميادين الإبداعية والفكرية... إلخ «وهذا ما يفسر حضور أنواع الثقافات اليونانية القديمة من فلسفة و مسرح وغيرها في مختلف ثقافات العالم، وكيف نفسر الحضور الفاعل للثقافة العربية لعصور الازدهار الفكري والفلسفي والعقلاني والشعري، في ثقافات العالم، مختلف هذه الثقافات في مختلف عصورها تجري في سياق حركة تفاعل وتمازج وسيرورة، وفي إطار ثقافة إنسانية عامة تتميز بالتنوع والتعدد»<sup>3</sup>.

### 8. اهتمامه بالمناهج المعاصرة والترجمة.

وفي هذا الصدد يقول «ساري محمد الزهراني»: «للقائد الدكتور جابر عصفور الكثير من العطاءات النقدية، والمساهمات المتنوعة في إثراء الحقل الثقافي والنقدي، حيث أسهم منذ ما يزيد على أربعين عاما في تعزيز دور الثقافة العربية، وتقوية الجسور بينها وبين مختلف مكوناتها، وبين الثقافات العالمية...، شكّل دور «جابر عصفور» في مجال النقد الأكاديمي

<sup>1</sup> - محمد دكروب، مقدمة عن التنوع الخلاق ومستقبل العالم، كتاب في جريدة، ص 31.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه 31.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 31.

والثقافي إسهامًا بارزًا في إعلاء قيم الاستتارة في مواجهة قيم الجمود والتخلف، لتقديم الوجه الإيجابي لثقافة عربية معاصرة، تنتقل بأبنائها من مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية.<sup>1</sup> ونظرًا-كما رأى البحث سابقًا- لاهتمام جابر عصفور، بحوار الحضارات وتبادل الثقافات المختلفة الإبداعية والثقافية، إهتم هذا الناقد بالنظريات النقدية المعاصرة، وترجم كتبًا عنها بل وعمل بها.

ومن بين هذه الكتب التي تُظهر هذا الاهتمام كتابه «نظريات معاصرة».

يقول «حسن خضر» عن هذا الكتاب: «يعد جابر عصفور من النقاد العرب الذين تميزوا بقدرة نقدية واعية تُزوّج -بفهم خاص- بين المنجز النقدي والبلاغي العربي الضخم، وبين الروافد الحديثة نظريًا في رؤية خاصة للتراث الإبداعي النقدي العربي مدفوعة دائمًا بهاجس المراجعة والمساءلة التي تتوازى في شقين لا ينفصلان لديه من حيث كونهما مراجعة للذات الهوية، الوجود، الخصوصية، وفي شقها الآخر مراجعة للنظرية، الرؤى، النقد، الآخر، إنه نقد النقد، أو نقد الذات النقدية الذي يسيطر على أفق كتابه الأخير «نظريات معاصرة».<sup>2</sup> وفي هذا الصدد أيضًا أي النظريات العالمية المعاصرة، ترجم «جابر عصفور» كتاب «رامان سيلدن»، تحت عنوان «النظرية الأدبية المعاصرة» يقول «جابر عصفور»: «...يتوجه المؤلف إلى النظريات المعاصرة نفسها، فيعرض للشكلية الروسية بوصفها «معطف جوجول» الذي تتابعت منه أعلام البحث عن منهج علمي، أو عن تأسيس علم لدراسة الأدب، وتتلاحق النظريات والمداخل، من النظرية الماركسية القديمة قدم (رأس المال)، والجديدة جده كتابات «إيجلتون وفريدريك جيمسون» والنظريات البنوية التي تحتل مكانة متواضعة في الكتاب، بعد أن تصاعد موج نظريات ما بعد البنوية منذ أوائل السبعينات، والنظريات التي تتوجه إلى القارئ، وأخيرًا النقد النسائي».<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ساري محمد الزهراني: جابر عصفور وقراءة التراث، المدينة، صحيفة يومية تصدر عن مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر 2011/12/23.

<sup>2</sup> - حسن خضر: حول كتاب جابر عصفور، نقد النظرية، من سيرة الوعي إلى مراجعة الذات، الحياة الدولية، مجلة الوسط، الحياة السعودية 1989/09/19.

<sup>3</sup> - رامان سيلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1997، ص10.

ويقول أيضا: «...إن هذا المشهد لم يعد من إنتاج سكان الشمال، العالم المتقدم، فقد أخذ يُسهم في صنعه سكان الجنوب، الوافدون من العالم الثالث والرابع، وليس أدل على ذلك من الإسهام العربي المعاصر في المشهد النقدي المعاصر، إن كتابات إدوارد سعيد الفلسطيني قد أصبحت قسما من نسيج المشهد النقدي المعاصر في العالم، ويجد القارئ اسمه إلى جوار كتابات «فوكو» في تيار ما بعد البنيوية داخل هذا الكتاب.»<sup>1</sup>

وبمناسبة هذا الحديث البسيط عن ترجمة «جابر عصفور» لكتاب رامن سلدن، RAMAN SELDEN، يرى البحث أن لا يفوت الفرصة للحديث عن الترجمة عند هذا الناقد.

يقول «جابر عصفور»: «مفيد للثقافة العربية أن تتزايد مؤسسات الترجمة الحكومية وغير الحكومية على المستوى القطري أو القومي، ففي تزايد هذه المؤسسات ما يصل بحركة الترجمة العربية إلى أفقها المنشود، ويتيح للثقافة العربية أن تفتح على أقطار العالم من حولها من دون تحيز، وتقلل من اتساع الهوة وعوامل التقدم وتفيد من الحوارات الدائرة في الكوكب الأرضي، وتسهم فيها بما يعود بالنفع عليها وعلى غيرها، ولذلك تحمست للدعوة إلى إنشاء مؤسسة عربية للترجمة...»<sup>2</sup>

ويقول أيضا عن مستقبل الترجمة: «لا أزال من غير المتفائلين بمستقبل حركة الترجمة في العالم العربي، ذلك على الرغم من كل العوامل التي تبعث على التفاؤل والمرتبطة، أولا: بتكاثر عدد مؤسسات الترجمة وهيئاتها على امتداد العالم العربي...، والبيديية التي تترتب على ذلك أنه لا يكفي بناء قاعدة معلومات كاشفة عن الجهات المنتجة للترجمة، بل لا بد من التنسيق بينها وتبادل الخبرة والفعالية، حتى لا يضيع الجهد سدى، ونفاجأ أن كتابا واحدا قد صدرت له ترجمات عديدة، على سبيل المثال، بينما توجد كتب أكثر منه أهمية لم يترجمها أحد...»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 11-12.

<sup>2</sup> - جابر عصفور: المنظمة العربية للترجمة، جريدة الحياة، العدد 13829، 2001/01/24.

<sup>3</sup> - جابر عصفور: مستقبل الترجمة في العالم العربي، 2007/12/30.

بالإضافة إلى ذلك تحدث جابر عصفور عن معوقات الترجمة في العالم العربي منها العائق السياسي، العائق الديني، وأضف إلى ذلك العائق الاجتماعي الذي يرتبط بالتقاليد السائدة والأعراف الغالبة، وأعطى مثالا بمجالات الترجمة التي تتحدث عن تحرير المرأة، أو تكشف الظلم عن الأقليات، والطوائف المستضعفة.<sup>1</sup>

أضف إلى ذلك العائق الثقافي الذي يتصل بضعف معدلات الترجمة بوجه عام، وعدم وجود التفكير العلمي بوصفه مكونا أساسيا للثقافة، فضلا عن ثقافة الانغلاق والتفوق بالإضافة إلى العائق الاقتصادي الذي يقترن بعملية التمويل.<sup>2</sup>

لم يكتفي «جابر عصفور» بترجمة الكتب، بل ترجم بعض التقارير، يقول في ذلك عن تقرير بعنوان «تنوعنا الخلاق».

يحمل التقرير الذي أصدرته اللجنة العالمية للثقافة والتنمية 1995، عن الأمم المتحدة عنوان «تنوعنا الخلاق» وهو عنوان يكشف عن منزع جديد في فهم الثقافة الإنسانية من منظور النزعة الكوكبية الوليدة، التي كانت بمثابة الإطار المرجعي للتوجه الغالب على أبواب التقرير الذي اتخذ شكل الكتاب، ولذلك تحمست لترجمة التقرير ضمن المشروع القومي للترجمة.<sup>3</sup>

وله العديد من الترجمات منها:

- عصر البنيوية.
- الماركسية والنقد الأدبي.
- اتجاهات النقد المعاصر.<sup>4</sup>

بعد هذا الحديث الموجز عن التجربة التنظيرية عند جابر عصفور، ينتقل البحث للحديث عن الجانب التطبيقي.

<sup>1</sup> - المرجع السابق.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

<sup>3</sup> - جابر عصفور: حوار الحضارات، من كتاب في جريدة، بيروت العدد 101، 2007، ص 16.

<sup>4</sup> - جابر عصفور: نظريات معاصرة، من مقدمة الكتاب.

[ أ- ب ]	مقدمة.....
04	مدخل.....
<b>الفصل الأول: سياق النقد العربي المعاصر</b>	
08	تمهيد.....
10	1. المناهج السياقية.....
11	1-1. المنهج التاريخي.....
13	2-1. المنهج الاجتماعي.....
14	3-1. المنهج النفسي.....
16	2. المناهج النسقية.....
19	1-2. آراء بعض النقاد في المناهج النسقية.....
20	2-2. التذبذب المنهجي، أمثلة وحلول.....
<b>الفصل الثاني: التجربة التنظيرية عند جابر عصفور</b>	
28	تمهيد.....
29	1. اهتمامه بالتراث.....
32	2. تحديث التراث: أمثلة، دراسات وكتب.....
34	3. لغة الخطاب النقدي عند جابر عصفور.....
36	4. هموم الرواية.....
40	5. الشعر مفهومه وقضاياها.....
45	6. بعض الانتقادات التي وجهت لمشاريع جابر عصفور.....
46	7. آراء إيجابية لمشاريع جابر عصفور.....
50	8. اهتمامه بالمناهج المعاصرة والترجمة.....
<b>الفصل الثالث: التجربة التطبيقية عند جابر عصفور</b>	
55	تمهيد.....
56	الأنموذج الأول: الفصل الرابع من كتاب الصورة الفنية بعنوان "التصوير والتقديم الحسي".
56	1. قراءة في المقدمة.....
63	2. طرح الجاحظ للفكرة.....

66	3. تطور الفكرة في الدراسة الأسلوبية للشعر.....
69	4. العلاقة بين الشعر و الرسم.....
70	5. تأصيل حازم لمفهوم التقديم الحسي.....
72	6.ارتباط التقديم الحسي بمفهوم المحاكاة.....
74	الأنموذج الثاني: كتاب نظريات معاصرة.....
74	1. قراءة في المقدمة:.....
76	2. نظرية التعبير.....
78	3. البنيوية التوليدية.....
80	4. البنيوية والشعرية.....
81	5. وعي النظرية.....
83	6. الوعي الضدي.....
86	الخاتمة.....
90	الملخص.....
93	قائمة المصادر والمراجع.....
.	فهرس الموضوعات.....

## المخلص

يشتمل البحث على مقدمة، مدخل وثلاث فصول وخاتمة، المدخل عبارة عن تعريف بالناقد جابر عصفور، مولده، الشهادات التي تحصل عليها والوظائف التي شغلها.

أما الفصل الأول وهو سياق النقد العربي المعاصر، فيبدأ بتمهيد في سطور، ثم حديث عن تعدد الشروط والمواصفات التي تحدد المنهج النقدي، وكذلك مميزات النقد المعاصر في مجتمعاتنا العربية، يلي هذا حديثاً عن المناهج السياقية، اقتصر على المنهج التاريخي الاجتماعي ثم النفسي، وبعدها حديث عن المناهج النسقية وظهرها في الوطن العربي ومشاكل تطبيقها على النصوص العربية، وأمثلة عن دراسات وفق هذه المناهج.

أما الفصل الثاني: التجربة التنظيرية عند جابر عصفور، فقد تناول البحث أهم مشاريعه التنويرية، من خلال كتبه تارة وتارة أخرى من خلال آراء بعض النقاد والباحثين، ومن أهم مشاريع «جابر عصفور» دراسة التراث النقدي العربي وفق مناهج نقدية معاصرة، كما أبرز هموم الرواية العربية واهتم بقضايا الشعر، وعكف على فهم الخطاب النقدي الغربي، بل وترجم كتباً كثيرة في هذا المجال، منها «الماركسية والنقد الأدبي، عصر البنيوية» وغيرها.

وفيما يخص الفصل الثالث: التجربة التطبيقية عند جابر عصفور، فقد تناول البحث أنموذجان، الأول شعري وهو كتاب الصورة الفنية، وقد اقتصر على الفصل الرابع من الكتاب، أما الأنموذج الثاني نثري في نقد النقد وهو كتاب «نظريات معاصرة»، بالنسبة لكتاب الصورة الفنية، وتحديداً الفصل الرابع والذي هو بعنوان «التصوير والتقديم الحسي» وبعد قراءة في المقدمة تحدثت عن القضايا التي عالجها «جابر عصفور» وهي:

- طرح الجاحظ للفكرة، تطور الفكرة في الدراسة الأسلوبية للشعر، تأصيل حازم لمفهوم التقديم الحسي، ارتباط التقديم الحسي بمفهوم المحاكاة.

- أما الأنموذج الثاني «كتاب نظريات معاصرة» بدأ البحث أيضا بقراءة في المقدمة، ثم انتقل لمحتوى الكتاب متتبعا للمواضيع التي عالجها «عصفور» أولها نظرية التعبير ثم البنيوية التوليدية، البنيوية والشعرية، وعي النظرية، وأخيرا الوعي الضدي.

## Le résumé.

Cette recherche contient une introduction, une entrée, trois chapitres et une conclusion. L'entrée constitue une définition autour du critique «Djaber ousfour», sa naissance, les diplômes obtenus et les fonctions occupées.

Le premier chapitre : est le contexte du critique arabe moderne, il commence par une introduction dans quelques lignes puis une discussion sur les multi conditions et qualifications qui identifient la méthode du critique et les caractéristiques du critique moderne dans les sociétés arabes. Après cela en parle des méthodes contractualisme qui se limitent dans la méthode historique, sociale et psychique et puis une discussion sur les méthodes structuralistes son apparition dans le monde arabe et les problèmes d' application sur le textes arabes et des exemples sur des études selon ces méthodes.

Le deuxième chapitre : l'expérience théorique de «Djaber ousfour», la recherche à abordé se projets d'éclaircissements les plus importants tantôt selon ses livres et tantôt d'après les points de vue de quelques critiqueurs et chercheurs. Les plus importants projets de «Djaber ousfour», l'étude du patrimoine critique arabe selon des méthodes critiques modernes.

il a également montré les problèmes du roman arabe et il s'est intéressé aux questions de prosodie, la compréhension du dans ce domaine comme : « le marxisme et le critique littéraire l'ère d'e structuralisme ».

Concernant le troisième chapitre : « L'expérience d'application de «Djaber ousfour», la recherche a abordé deux échantillons :le premier « en prosodie » dans le livre « el Soura el faniah » qui figure dans le quatrième chapitre dans le livre de et le deuxième échantillon : « en prose » dans le critique du critique dans le livre « des théories modernes » concernant le livre «el Soura el faniah » précisément le quatrième chapitre intitulé « figuration sensible» et après une lecture dans l'introduction , la recherche a parlé des questions que «Djaber ousfour» a traitées :

Comment El Djahedh a traité l'idée- le développement de l'idée dans l'étude stylistique de prosodie –la liaison entre sensibilité et la notion de calque. Et le deuxième échantillon le livre « des théories modernes » la recherche a commencé par une lecture dans l'introduction et puis elle a passé au contenu du livre en suivant les sujets traités par «Djaber ousfour» à savoir : théorie d' expression, structuralisme, poétique et structuralisme, conscience de théorie et enfin la conscience contraire « opposée ».

# الفصل الثالث:

التجربة التطبيقية

عند جابر عصفور

مقدمة

# الفصل الأول:

سياق النقد

العربي المعاصر

الفصل الثاني:

التجربة التثويرية

عند جابر عصفور

مذلل

خاتمة

المُلخَص

# قائمة المصادر والمراجع

# فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## خاتمة

منذ الخطوة الأولى في هذا البحث والأسئلة المطروحة في الإشكالية تلح في الذهن، حتى بدأت تتضح شيئاً فشيئاً، كلما تقدم البحث نحو الأمام، فكل عنصر من العناصر يطرح يحمل في طياته إجابة، وتحولت كل إجابة إلى نتيجة، حتى خرج البحث بجملته من النتائج أهمها:

- يعتبر جابر عصفور من النقاد المعاصرين، فلم يكن قط ناقداً تقليدياً متعصباً للتراث العربي، كما لم يحدث القطيعة معه، فقد استقبل نظريات ومصطلحات الخطاب النقدي الغربي بوعي، لما يمكن من الاستفادة منها، فاستطاع بواسطة مشروعه التنويري التجديد في الخطاب النقدي العربي، وجعله يساير وبواكب نظيره العالمي.
- إن قوام النهج القرائي عند جابر عصفور مبني على «أن كل نص من نصوص التراث النقدي لا يمكن أن نقرأه في عزلة عن غيره من النصوص، فالتراث النقدي وحدة سياقية واحدة، داخل وحدة سياقية أوسع هي التراث.»
- يعترف جابر عصفور بانتمائه إلى مدرسة طه حسين النقدية، شأنه في ذلك شأن الكثير من النقاد الذين تلوا طه حسين وانتهجوا منهجه.
- في مشروع جابر التنويري واهتمامه بالتراث، يحتفي بقيمة هذه النصوص، فليس المقصود التعريف بالمضامين الجمالية فحسب، ولا إعادة استكشاف ما تتطوي عليه المتون من معنى، ولا حتى الخوض في القضايا التاريخية الخلافية، فالغرض هو الاحتفاء بما تمثله تلك الظواهر والنصوص من قيمة إنسانية.
- يؤكد على الاستقصاء الدقيق للمعطيات التاريخية والمنهج المتكامل في المعالجة، فبدونهما تظهر خطورة التأريخ للتراث النقدي، وفي هذا الصدد لم يتوقف جابر عصفور عند دراسة الموروث النقدي عند بعض النقاد القدامى، بل عكف على استقراء بعض الجوانب الفنية والبلاغية عند العرب.

- اهتم باللغة في الخطاب النقدي محاولاً إضفاء جمالية التعبير على هذا الخطاب مبتعداً عن اللغة العلمية الجافة.
- اهتم بالبحث ومعالجة هموم الرواية العربية والقيود التي تحيط بالرواية والمسرح العربي، والمتمثلة في كل أشكال القمع المفروضة على كل أنواع الإبداع بصفة عامة.
- أولى جابر عصفور اهتماماً كبيراً بالشعر، ودرس وعالج كل القضايا والمشاكل المحيطة بهذا الفن قديماً وحديثاً.
- يؤكد جابر عصفور على أهمية حوار الحضارات، بين تيارات وقوى مشابهة أو متقاربة على الصعد الثقافية الفكرية بين شعوب عالمنا المعاصر، فالصراع يدور على الصعيد الفكري، الفلسفي، الثقافي في زمننا هذا، بين ثنائيات متعارضة من التيارات الماضي والمستقبلي، والأصولي والمعرفي والإبداعي والاتباعي، وفي هذا الصدد ينتقد النظرة الوحيدة البعد والوحيدة الجانب.
- من أهم ما تميز به مشروعه النقدي أنه ذو قدرة كبيرة على استيعاب مختلف النظريات والمناهج والمفاهيم، وقابليته على الإفصاح عن نفسه، والمناقشة وهذه صفة المشاريع العلمية المحمّلة بالآراء والأفكار والفرضيات التي تهدف إلى حوار علمي بناء.
- أحاط جابر عصفور المناهج المعاصرة، بالاهتمام والدراسة، محاولاً بلورة خطاب نقدي عربي حديث، فانتقل من الماركسية إلى البنيوية بحيوية بالغة، فاهتم أولاً بالجانب التوليدي، عند "جولدمان".
- عالج عديداً من القضايا الفكرية والنقدية الجديرة بالمناقشة، والتحليل لأنها مهمة وتدور حول إشكاليات التنوير والتجريب، وإعادة مناقشة التراث النقدي والبلاغي العربي بمناهج حديثة عقلانية نقدية، بجانب عرض ومناقشة وتأصيل أحدث تيارات النقد الأوربي المعاصر عن البنيوية والأسلوبية، وما بعدها مثل التفكيكية والتوليدية والشاعرية، ونظرية التلقي، وعلوم الخطاب والماركسية الجديدة، ويتم عرض هذه التيارات الحدائثية في سياق البنى الاجتماعية والسياسية وتحولات العالم.

- يستند منهجه النقدي على رغم التنوع والتعدد، على موقف من الفلسفة وعلم الجمال الماركسي، رغم طرحه للقضايا النقدية والفكرية التي نعيشها الآن بنوع من الاستقلالية والخصوصية والبحث المجهد عن أرضية ثقافية عربية الهوية.
- رغم التنوع في الرؤى والمواقف النقدية في مختلف المناهج المعاصرة، فهو يدعو إلى عدم الانبهار بهذه المدارس، ويؤكد على قراءة النص الأدبي وإدراك وتحليل جوهر رؤيته في ضوء بنيته الجمالية وأسلوبه التعبيرية المشخصة، وبين جدل الصراع الاجتماعي والتاريخي.
- كثيرة هي القضايا النقدية والفكرية التي يثيرها «جابر عصفور» في مقالاته، وهي تُثبت حيوية الأستاذ الجامعي عندما ينغمس في جدل الواقع وتفاعلاته.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر

1. جابر عصفور: الصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، دت، دط.
2. جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، دت.

### ثانياً: المراجع.

#### 1. المراجع العربية:

3. جابر عصفور، المرايا المتجاوزة دراسة في نقد طه حسين الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983.
4. جابر عصفور، غواية التراث، وزارة الإعلام مجلة العربي الطبعة الأولى 2005.
5. جابر عصفور، قراءة في التراث النقدي، مؤسسة عيال للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1991.
6. جابر عصفور، مفهوم الشعر، دراسة في الموروث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الخامسة، 1985.
7. رزان محمود إبراهيم، الشرط التاريخي للنظرية العربية، كلية الآداب والعلوم جامعة البترا، دط، دت.
8. سامي عبابنة إتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتاب الحديث الأردن 2004.
9. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنشر والمعلومات، الطبعة الأولى، 2002.
10. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد العربي، ميريت للنشر و المعلومات، دط، دت.
11. صلاح فضل، عين النقد على الرواية الجديدة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 1989.
12. عباس محمود العقاد، المذاهب الأدبية والاجتماعية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، 2006.

13. عبد الرحمان أبو عوف، مراجعة في الأدب المصري المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.
14. محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.
15. محمد عبد الحميد، المرايا المتجاوزة دراسة في تكاملية نقادنا الرواد، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر مصر، دط، دت.
16. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.
17. وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1987.

## II. المراجع المترجمة:

18. رمان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1997.

## ثالثا: الرسائل الجامعية والدوريات

### I. الرسائل الجامعية:

19. رشيدة غانم، اللغة الواصفة في نقد عبد الملك مرتاض، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة مولود معمري، الجزائر، 2012، 2011.
20. علي خفيف، التجربة النقدية عند عبد الملك مرتاض، رسالة لنيل شهادة الماجستير جامعة باجي مختار، الجزائر، 1995، 1994.
21. محمد قراش، إشكال التحقيب والنزعة الإقليمية في أعمال محمد مفتاح، منكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2006، 2005.
22. نصيرة علاك، الشفاهي والكتابي في الخطاب النقدي عند جابر عصفور، منكرة لنيل شهادة الماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2008، 2009.

## II. المجلات:

23. أسامة الرحيمي، جابر عصفور في محبة الشعر، الأهرام اليومي، العدد، 2014.
24. جابر عصفور المنظمة العربية للترجمة، جريدة الحياة، 2011، 01، 24.
25. جابر عصفور حوار الحضارات ص 16 من كتاب في جريدة بيروت، العدد 101 2007.
26. جابر عصفور، فجر الرواية العربية، جريدة الحياة، لندن، 2011، 03، 30.
27. جابر عصفور، مستقبل الترجمة في العالم العربي، جريدة الحياة، 30 ديسمبر، 2007.
28. جريدة الرواية، في محبة الشعر كتاب جديد لجابر عصفور، 27 نوفمبر 2009.
29. حسن خضر، حول كتاب جابر عصفور، نقد النظرية من سيرة الوعي إلى مراجعة الذات، الحياة اليومية مجلة الوسط البحرينية، الحياة السعودية، 1989، 09، 19.
30. ساري محمد الزهراني، جابر عصفور وقراءة التراث، المدينة صحيفة يومية تصدر عن مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر 2011، 12، 23.
31. سالم الفائدة، مفهوم الشعر، حفريات في ذاكرة التراث، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 2010، 3009.
32. شرف الدين مجدولين، قراءة في مشاريع جابر عصفور النقدية، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 2010، 3009.
33. طارق ثابت، عبد الملك مرتاض وجهوده في تحديث الخطاب الأدبي أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
34. عبد العزيز المقالح، جابر عصفور وتحديث الخطاب النقدي المجلة الثقافية العدد 177 2006.
35. عبد الفتاح الحجمري، قراءات في مشاريع جابر عصفور النقدية صحيفة الوسط البحرينية العدد 2010، 3009.
36. عفاف عبد المعطي، كتب جديدة لجابر عصفور مجلة نزوي سلطنة عمان العدد 2009، 36.

37. فاطمة ناعوت ،جابر عصفور يعتنق النقد مجلة الحوار المتمدن،العدد2004،885.
38. قادة عقاق، هاجس التأصيل النقدي عند عبد الملك مرتاض بين وعي وطموح الحداثة مجلة نزوي ،عمان العدد2820.
39. قراءات في مشاريع جابر عصفور النقدية ،صحيفة الوسط البحرينية ،العدد2010،3009.
40. ليديم ناصر، قراءات في مشاريع جابر عصفور النقدية، صحيفة الوسط البحرينية العدد3009، 22 ديسمبر2010.
41. محمد دكروب، مقدمة عن التنوع الخلاق ومستقبل العالم ،كتاب في جريدة جابر عصفور حوار الحضارات والثقافات،النهضة،العدد2007،101.
42. محمد شعير: جابر عصفور، مجلة أخبار الأدب، 22 أبريل 2007.
43. محمد دكروب، جابر عصفور، حوار الحضارات والثقافات، كتاب في جريدة ،الأربعاء العدد101 3يناير2007.
44. مهتدي بندق، المشروع الحداثي لجابر عصفور إلى أين، مجلة الحوار المتمدن العدد2007،2104.
45. مؤسسة الفكر العربي ،الدكتور جابر عصفور ،جائزة الإبداع الأدبي 2013. الدكتور-جابر-عصفور / <http://arabthought.org/ar>

## من هو جابر عصفور الناقد؟

جابر عصفور من مواليد جمهورية مصر العربية، المحلة الكبرى 25 مارس 1944 حصل على الليسانس من قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1965، حصل على الماجستير من الجامعة نفسها عام 1969، عن رسالة بعنوان (الصورة الفنية عند شعراء الإحياء في مصر) وفي نفس الجامعة أيضا تحصل على درجة الدكتوراه عام 1973 عن رسالة بعنوان (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي).

عمل في عدة وظائف ومناصب جامعية، وشغل وظيفة أستاذ النقد الأدبي، قسم اللغة العربية كلية الآداب في جامعة القاهرة اعتبارا منذ 1983، وعمل أستاذا زائرا في العديد من الجامعات في البلدان العربية والأجنبية، شغل منصب أمين عام المجلس الأعلى للثقافة في مصر منذ عام 1993 وحتى يومنا هذا.

شارك في جمعيات واتحادات أدبية عديدة، وفي تحرير العديد من المجالات الثقافية العربية، ورئيس تحرير مجلة «فصول» للنقد الأدبي خلال أعوام 1993، 1999، شارك في الكثير من المؤتمرات الأدبية الفكرية في البلدان العربية والأجنبية، وحاز العديد من الجوائز الثقافية.<sup>1</sup>

صدر له العديد من الكتب في مختلف الأنواع الثقافية:

- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي 1974.
- مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي 1978.
- المرايا المتجاوزة، دراسة في نقد طه حسين 1983.
- الإحياء والإحيائيون، قراءة التراث النقدي 1991.
- التنوير يواجه الظلام 1992.
- محنة التنوير 1992.
- دفاعا عن التنوير 1993.
- هوامش على دفتر التنوير 1993.
- إضاءات 1994.

<sup>1</sup> - محمد دكروب، جابر عصفور، حوار الحضارات والثقافات، كتاب في جريدة أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996، عدد 101، الأربعاء، 3 يناير 2007، ص 3.

- أنوار العقل 1996.
- آفاق العصر 1997.
- نظريات معاصرة 1998.
- زمن الرواية 1999.
- ضد التعصب 2000.
- استعادة الماضي 2001.
- ذاكرة للشعر 2002.
- قراءة في النقد الأدبي 2002.
- أوراق ثقافية 2003.
- مواجهة الإرهاب 2003.
- غواية التراث 2005.

وترجم العديد من الكتب في النقد الأدبي المعاصر، وشارك في العديد من الكتب الجامعية الثقافية.<sup>1</sup>

عقدت بالدار البيضاء (بدعوة من مختبر السرديات) ندوة حول المشروع النقدي للدكتور جابر عصفور، تقديراً لعطائه ومساهمته المتنوعة في إثراء الحقل الثقافي، المتمثل في إسهامه منذ أزيد من أربعين عاماً، ومازال في تعزيز دور الثقافة العربية وتقوية الجسور بينها وبين مختلف مكوناتها، وبين الثقافات العالمية، مما ساهم في تحقيق أشكال متقدمة من حوار الثقافات، كما عمل باستمرار على التجديد في أسئلتنا الثقافية المرتبطة بالهوية العربية، بوصفها جزءاً من الهوية الإنسانية المبنية على قيم نبيلة وخالدة، مثلما كان ومازال مساهماً في بناء الشخصية الثقافية العربية داخل العالم العربي وخارجه.

افتتح د. شعيب حليفي الندوة بورقة تأطيرية تحدث فيها عن خمس واجهات مكنت جابر عصفور من تحقيق ما أنجز من مشاريعه، ومساهمته في أنشطة ثقافية، الواجهة الأولى تتمثل في اعتباره كاتباً وناقداً يزوج بين النقد الأدبي والترجمة والمقالة، وبين النقد الأكاديمي الرصين والمجدد من جهة أخرى...، وتتمثل الواجهة الثانية في اعتباره أستاذاً أكاديمياً أطر العديد من البحوث والرسائل والأطروحات في الماجستير والدكتوراه، في تخصصات

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 3.

الدراسات النقدية والبلاغية والتحليل النصي...، والواجهة الثالثة تكمن في مساهمته الفعالة في النشاط الثقافي العام، عضوية في عدد من الجمعيات والمجالس والروابط، وكذا في لجان التحكيم لجوائز قومية ذات مستوى عالي وشهرة عالمية، كما فاز منذ منتصف الثمانينات بالعديد من الجوائز العلمية والأوسمة في دول عربية مختلفة (مصر، الكويت، لبنان، تونس الشارقة، المغرب...) على مؤلفاته النقدية والثقافية.<sup>1</sup>

وأما الواجهة الرابعة فتتمثل في، قضائه خمس عشرة سنة في منصب الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة بمصر والذي قوى بفضله التجسير بين الثقافتين العربية والعالمية ومن خلال أنشطته القومية والعالمية وإصداراته وتعاونه مع مؤسسات ثقافية أخرى، فأصبح المجلس مؤسسة ثقافية ذات موقع فعال في خارطة الثقافة العالمية، والواجهة الخامسة ترتبط بوجود الأستاذ الدكتور جابر عصفور على رأس المشروع القومي للترجمة، والدور الذي حققه ويحققه باحتضانه لرؤية ثقافية وحضارية ترسخ البعد الإنساني للثقافات.<sup>2</sup>

حاز على جوائز علمية عدّة أهمها: جائزة أفضل كتاب في الدراسات النقدية من وزارة الثقافة في القاهرة سنة 1984، جائزة أفضل كتاب في الدراسات الأدبية من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في الكويت عام 1985، جائزة أفضل كتاب في الدراسات الإنسانية معرض الكتاب الدولي في القاهرة عام 1995، كما حاز على جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية الدورة الخامسة في حقل الدراسات الأدبية والنقدية، استلم درع رابطة المرأة العربية لعام 2003، نشر العديد من المؤلفات منها 26 كتابا أدبيا، و5 كتب أدبية مترجمة وأسهم في 5 كتب، و78 بحثا منشورا بعضهم ترجم إلى لغات عالمية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أنظر قراءات في مشاريع جابر عصفور النقدية، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 3009، 2010.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

<sup>3</sup> - مؤسسة الفكر العربي، الدكتور جابر عصفور، جائزة الإبداع الأدبي 2013، الدكتور-جابر-عصفور/ <http://arabthought.org/ar>

إذا كانت مناهج النقد الأدبي جميعها غربية المنشأ، أفرزتها حركة النقد الجديد في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، وبداية القرن العشرين، فإن الخطاب النقدي العربي لم يكن بمنأى عن التأثير بهذه المناهج النقدية الجديدة، وهذا بسبب انتقال الثقافات سواء عن طريق الترجمة أو نظرا لمعرفة لغة الآخر، التي تمكّن من الاطلاع على المؤلفات في لغتها الأصلية، وقد وصلت هذه المناهج إلى الساحة الأدبية والنقدية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك عن طريق مجموعة من النقاد العرب، حيث تمكّنوا من فهمها وحاولوا بلورة اتجاه نقدي أدبي عربي حديث، منهم نقاد من المغرب العربي على غرار «عبد الملك مرتاض» و«محمد مفتاح»، «عبد السلام المسدي» وغيرهم، ومنهم نقاد من المشرق العربي مثل: «صلاح فضل»، «كمال أبو ديب» و«جابر عصفور»، وهذا الأخير صاحب تجربة نقدية رائدة في أدبنا العربي، له كتاباته النقدية والفكرية والتي تتم عن نقد عميق، بل تعتبر مشاريع نقدية أضاءت درب النقد العربي.

وقد وقع اختيار البحث على تجربة هذا الناقد، نظراً لما أولاه من أهمية للنقد الأدبي في النهضة الثقافية والحضارية العربية، منذ أزيد من أربعين عاماً، ومازال يساهم في تعزيز دور الثقافة العربية عامة والنقد المعاصر خاصة.

فقد عمل منذ بداياته على التجديد في أسئلتنا الثقافية، المرتبطة بالهوية العربية، وهذا ما يتأكد من إعادة قراءاته للتراث العربي قراءة معاصرة. لذا يسعى البحث في حدود ما أتيج له إلى التعريف بهذه التجربة النقدية الضخمة لأحد أقطاب النقد العربي.

ويحاول البحث الإجابة عن الإشكالية التالية:

لكل ناقد منهج خاص في دراساته النقدية وطريق محدد، فما هو المنهج النقدي عند جابر عصفور؟ وهل كان من المحافظين أم من المجددين؟ وهل كانت دراسته بلاغية أم أسلوبية؟ وما أهم القضايا التي تطرق إليها في مؤلفاته النظرية والتطبيقية؟.

وقد اتبع البحث في دراسته، المنهج الوصفي التحليلي، بغية الإجابة عن الأسئلة السابقة. وكان البحث عبارة عن مقدمة، ثم مدخل للتعريف بالناقد «جابر عصفور»، وثلاث فصول وخاتمة.

حُصص الفصل الأول للحديث عن سياق النقد العربي المعاصر، والفصل الثاني تطرق فيه البحث إلى التجربة التنظيرية عند جابر عصفور، فتناول هذا الفصل أهم قضاياها ومشاريعه التي تطرق إليها وذلك في أهم مؤلفاته.

الفصل الثالث: التجربة التطبيقية عند جابر عصفور تناول البحث، أنموذجاً شعرياً وذلك بدراسة جزء من كتاب "الصورة الفنية" وأنموذجاً نثرياً وذلك بتناول أهم القضايا في كتاب "نظريات معاصرة".

أما الخاتمة فقد لخصت أهم معالم الدراسة، وحوصلت أهم النتائج المتوصل إليها. واعتمد البحث مجموعة من المصادر والمراجع، أهمها كتب جابر عصفور منها "الصورة الفنية"، "نظريات معاصرة"، ومقالات في بعض الجرائد والمجلات، مثل مجلة نزوى سلطنة عمان، مجلة العربي الكويت، وصحيفة الوسط البحرينية.

ومن أهم الصعوبات التي واجهت البحث، هي قلة المصادر والمراجع، ما عدا تلك المعلومات الموجودة في مقالات على صفحات بعض الجرائد والمجلات، وكذلك ضيق الوقت الذي لم يسمح بالخوض في هذه التجربة، كما تستحق وكما ينبغي لها أن تُدرس مقارنة بشساعة وتشعب مشاريع هذا الناقد، ومع ذلك حاول البحث جاهداً الإحاطة بأهم قضاياها والتعريف بها.



جامعة المسيلة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

طور الماستر

**العنوان:**

**التجربة النقدية عند جابر عصفور**

**"الجانب النظري والتطبيقي"**

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص : نقد عربي حديث

إشراف الأستاذ :

د. جمال حضري

إعداد الطالبة :

بن قويدر فاطمة

السنة الجامعية : 2014/2013



# الإهداء



اللهم اجعل طريق العلم طريقتي من الصفر إلى القبر، واجعل لي في هذه الطريق محطات للاستزادة، وأخرى للعبادة، وذكّرني في كل محطة بقدرتك وعظيم شأنك.

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى من وافقتني في هذا العمل بدعواتها أمي أطال الله في عمرها، وأدامها نبراسا ينير دربي ويطمئن قلبي.

إلى روح أبي أسكنه الله فسيح جنانه.

إلى أخي عبد الوهاب وأسرته، وأخي علي وأسرته، إلى أختي فتية وزوجها احمد وأولادهما.

وأخص بالذكر أختي حنان التي لولا مساعدتها لي وصبرها معي لما تم هذا العمل.

إلى صديقتي العزيزة عقاب نزيهة.

إلى كل من يتصفح عملا ويقدر جهد الآخر.

بن قويدر فاطمة



# شكر وتقدير



الشكر لله جلّ جلاله الذي لا يتم عملاً إلا بفضل.

إلى الأستاذ الفاضل الدكتور جمال حضري، الذي تفضل بقبوله الإشراف على هذا العمل، ولم يبخل علي بالنصائح والتوجيه، عميق الشكر والامتنان لك أستاذي الكريم.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من مدّ لي يد العون، ولو بكلمة. الشكر الجزيل للأستاذ بوعلاوي محمد، والأستاذ بن قويد عبد المجيد. إلى جميع الأساتذة الكرام وأسأل الله أن يحفظهم ويبارك فيهم وفي جهودهم الكريمة من أجل خدمة مسيرة العلم.

- والله المستعان -

بن قويدر فاطمة

